المستشار
الدكتور علي جريشة

(٦)
أقيموا شريعة الله



دعوة الله بين التكوين والتمكين

يطلب من :
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تلیفون : ٩٣٢٧٤٧٠



المستشار
الدكتور علي جريشة
أستاذ أصول الفقه بالجامعة الاسلامية
واستاذ الدراسات العليا
بجامعة محمد بن سعود الاسلامية



الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

دار التضامن للطباعة
٢٢ شارع سامى - ميدان لاظوغلى
القاهرة - تليفون ٢٠٥٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه الكلمات ... لماذا ؟

دعوة الله ، كما قام عليها رسول الله ﷺ ، مرت بمراحل ثلاث :

الأولى ـ مرحلة النشر والتبليغ :

وذلك نفاذا لأمر الله « **يا ايها المدثر • قم فانذر** » (١) وأمره « **يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك** » (٢) وأخيرا تقريره سبحانه وتعالى : « **ان عليك الا البلاغ** » (٣) وهى وان صاحبت حياة الرسول ﷺ كلها • ولا تزال تصحب الأجيال المسلمة جيلا بعد جيل ، الا أنها تكون موضع التركيز فى المرحلة الأولى :

وقد كان فيها رسول الله ﷺ يقول : « قولوا لا اله الا الله تفلحوا » وكان يقول « من يحمينى لأبلغ دعوة ربى » .

الثانية ـ مرحلة البناء والتكوين :

وهى تصاحب التبليغ • لكنها تكون بعد مرحلة منها ، وذلك قصدا الى اقامة البناء العظيم الذى يقوم بواجب الدعوة ، متطاولا

---

(١) المدثر : ١ ، ٢ (٢) المائدة : ٦٧
(٣) الشورى : ٤٨ •

على كل محاولات النيل أو الهدم أو التصديع . ومن ثم كان الجهد فيها ولها مضاعفا ، وكان اختيار اللبنات القوية لازما .

وقد مارسها رسول الله ﷺ حين كان يجمع صحابته من رعيل الدعوة الأول ليربيهم ويكونهم على عقيدة الاسلام وخلقه وقيمه ومبادئه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم .

ولئن احتاجت المرحلة الأولى الى الاعلان ، فان هذه المرحلة أقرب الى الكتمان .

الثالثة ـ مرحلة النصر والتمكين :

وهى مرحلة أخيرة ..

تنتقل فيها الدعوة الى مرحلة الدولة .. وان لم تفتقد الدعوة بل تكون لها سماتها الجديدة .

وقد نفذها رسول الله ﷺ بعد اذ نزل اليه أمر الله « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله** » .... الى قوله تعالى « **الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور** » (٤) .

والدعوة الاسلامية فى صحوتها المباركة مرت بمرحلة النشر والتبليغ فعلم بها القاصى والدانى ، وقامت بها الحجة ونهض بها البلاغ المبين .. ولاتزال تقوم بجهود مباركة فى طول الدنيا

---

(٤) الحج : ٣٩ ـ ٤١ .

وعرضها ، وينبغى أن تظل كذلك ٠٠ لأن البلاغ لاينتهى حتى يرث الأرض ومن عليها ٠

وقامت كذلك بمرحلة التكوين ٠٠ فترى على مائدة القرآن رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، امتحنوا وجربوا ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ٠

وفى تقديرى أن المرحلة الأخيرة وشيكة الوقوع ، وذلك من خلال الدراسة التاريخية والدراسة الواقعية ، أما كيف ؟ فلا نرجم بالغيب ، ولا ندعى على الله علم المستقبل ٠

قد يهدى الله من بيدهم السلطة أن يتحولوا جندا من جند الله « وما يعلم جنود ربك الا هو » (٥) ، والقلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ٠

وقد تختار الشعوب - من خلال حقها فى الاختيار - من يقوم بأمر الله ٠٠ وذلك من خلال شعاراتهم الديموقراطية ٠٠

وقد تكون الثالثة « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » (٦) ٠

« اتى أمر الله فلا تستعجلوه ، سبحانه وتعالى عما يشركون » (٧) ٠

* * *

وهذه الدراسة أقرب الى الدراسة العلمية ، بل هى كذلك ان

---

(٥) المدثر : ٣١ (٦) محمد : ٣٨ ٠

(٧) النحل : ١ ٠

شاء الله (٨) وهى تلتفت كثيرا عن الشكل ، وتهتم كثيرا بالموضوع ، وصولا الى معرفة خصائص التكوين ، وخصائص التمكين ، لفتا للمسلمين الى اهمية هاتين المرحلتين فى طريق الدعوة ، بلوغا ــ باذن الله ــ الى عودة مجد الاسلام مرة اخرى « حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (٩) ٠

وهذه الدراسة ليست قاصرة على فئة بعينها ٠٠ انها جهد علمى وعملى ، يهدى للمخلصين العاملين فى حقل الدعوة ، وللدارسين والباحثين عن الحق والحقيقة ، والراغبين على الطريق فى الزاد أو المزيد من الزاد ، آملا ان يوفقنى الله سبحانه فيجعل لى لسان صدق فى الآخرين ، ويجعلنى من ورثة جنة النعيم ، وأن يغفر لى ولأمى وابى ولاخوانى الذين سبقونى بالايمان ٠٠ انه سميع قريب مجيب ٠

المدينة المنورة :

٨ ذى الحجة ١٤٠٥هـ ــ ٢٤ أغسطس ١٩٨٥م

علي محمد جريشة

---

(٨) بدأت هذه الدراسة دروسا القيتها على طلابى بالمعهد العالي للدعوة الاسلامية فى العام الدراسى ١٤٠٥ هـ (المرحلة الجامعية) ــ مادة مناهج الدعوة ، وقد اشتققت منها هذا الجزء مع شىء من التعديل لشعورى بالحاجة العامة اليه ــ والمادة كلها تحت الطبع ٠ والكتاب الأول اقرب الى الدراسة العلمية المتخصصة ٠ وهذا الكتاب اقرب الى العموم ٠

(٩) الأنفال : ٣٩ ٠

الفصل الأول

دَعْوَةُ اللهِ .. أَيْنَ نَقِفُ

- دعوة الله بين غفوة وصحوة
- عوائق في طريق الدعوة
- دعوة الله أمانة .. من يقوم بها ؟

دعــوة الله ··· أين تقف

● تقدمة :

لاجرم أن الحديث عن دعوة الله ·· حديث عزيز !

فدعوة الله هى دين الله··هى الحنيفية السمحة·· هى شريعة الله ·· هى طريق الله : ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك ··

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (١) ·

« قل هذه سبيلى أدعوا الى الله ، على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » (٢) ·

* * *

وكما يكره الله الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ·

فانه كذلك ـ سبحانه ـ يكره الذين فرقوا فى دينهم ، وقالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، أو نلتزم ببعض ونفرط فى بعض ·· !

وكما أن الصغائر ·· اذا تجمعت أو كان عليها اصرار صارت كبائر ··

فان ترك بعض الدين ، وان كان قليلا ·· عند الله كبير بل كبائر ·· بل لقد وصفه ، بل وصمه رب العالمين بالفتنة والجاهلية والكفر ·

* * *

(١) الأنعام : ١٥٣ (٢) يوسف : ١٠٨

ومن هنا ...

فكما نصحح بالدعوة،عقيدة قومنا ، لنردهم الى عقيدة السلف الصالح ، فاننا كذلك نصحح بالدعوة بقية دين قومنا لنردهم كذلك الى ما كان عليه السلف الصالح ، هذا فى الوقت الذى نحمل فيه دعوتنا .. الى قوم لم يؤمنوا بها فى شرق وغرب ، لنقول لهم مقالة نبينا من قبل : « قولوا لا اله الا الله تفلحوا » ...

* * *

لكن من يحمينا لنبلغ دعوة ربنا ... ؟

وان نحن بلغنا .. فهل يتركوننا نقيم الصف الاسلامى ونقومه ؟

وهل يتركوننا نكمل بناء بذلنا فى وضع اساسه اغلى سنى العمر ؟

وان نحن لم نتعرض لبنائهم مع ما فيه ... فهل لايتعرضون للبناء لنا بما من الله علينا فيه ؟

ما اظنهم فاعلين .. ذلك ظاهرهم .. وما تخفى صدورهم اكبر ..

من هنا قلنا ونقول .. ان الباطل هو الذى يتحرش بالحق ، وهو الذى يتعجل المعركة غافلا انه سيكون من الخاسرين ....

ذلك انه يغفل عن حقيقة اكبر..انه يحارب الله .. والله اكبر. وهو سبحانه الذى قررها « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » (٢) .

---

(٢) الأنفال : ١٧ .

ومعركة يتحارب فيها رب العالمين .. معركة خاسرة لأعدائه .

« ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين ، كتب الله لأغلبن انا ورسلى ، ان الله قوى عزيز » (٤) .

* * *

وفى السطور التى تلى .. نتعرض بمشيئة اللـه لبعض نقاط .. نمهد بها الحديث عن التكوين والتمكين ..

فنتحدث أولا عن دعوة الله بين غفوة وصحوة !

ونتحدث ثانيا عن عوائق فى طريق الدعوة !

ونتحدث أخيرا عن دعوة الله أمانة .. من يقوم بها .. ؟

* * *

---

(٤) المجادلة : ٢٠ ، ٢١

١ ــ دعوة الله ... بين غفوة ، وصحوة !

● غفوة وغفلة ..

عاش المسلمون غفوة ..

وعاش المسلمون غفلة ..

والغفلة فيها العمد والقصد ، والغفوة كثيرا ما يتخلف فيهما العمد والقصد ..

ومن هنا أحسنا الظن بالمسلمين ، وقلنا غفوة ولم نقل غفلة !

بيد أن الواقع يؤكد أن في الأمر غفلة ،

وإن غلبنا نحن الغفوة على الغفلة .

ولقد طالت بالمسلمين الغفوة ...

حتى لقد زاد من الغفوة على زمن الصحوة ..

وحتى وقعت القوارع والصواعق ، وما للمسلمين من فواق ..

فظن البعض بالمسلمين موتا ما بعده حياة !

وحديث الغفوة قد يطول .. وهو حديث مرير ...

ومن ثم فسوف نقتصر على مابقي منهما عند حديثنا عن العوائق .. !

اما حديثنا عن الصحوة فهو حديث البشير .. والنفس تهفو الى البشير .

* * *

● **صحوة تبدد الغفوة :**

كما جرت سنة الله سبحانه وتعالى أن يعقب الليل النهار ··
فقد جرت سنته كذلك أن تعقب الغفوة صحوة ··

والذين يقاومون الصحوة كالذين يقاومون طلوع النهار ···
ترى هل يستطيعون ؟

لقد صاغها القرآن صياغة جميلة :

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » (١) ·

بيد أن تبديد الغفوة يحتاج ـ مع سنة الله ـ للجهد البشرى··
كما أن اشراق الصحوة يحتاج كذلك مع سنة الله ـ للجهد البشرى ·

ومن هنا كان وعد الله بالتمكين لفريق تتوافر له صفات :
ايمان ·· عمل صالح ·· عبادة بغير اشراك ··

* * *

● **تبديد الغفوة ، وتسديد الصحوة :**

لايزال البعض ينتظر أن تمطر السماء ذهبا أو أن تنبت الأرض فضة أو لا يزالون يضاهئون قول قوم من قبل : **« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا · أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا · أو تسقط السماء كما زعمت**

---

(١) التوبة : ٣٢

علينا كسفا او تاتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » (٢) .

ومن ثم فلتن تتبه الناس ـ ليس كل الناس ـ الى الغفوة ، وما وراءها من غفلة ، فانهم فى تواكل لا توكل ، ينتظرون معجـــزة من السماء ...

وهو ما لا يمكن أن يكون ..

لقد انتهى عهد المعجزات بانتهاء النبوات

وبقيت سنن الله وقوانينه تعمل فى هذا الكون .. « **وان ليس للانسان الا ما سعى . وان سعيه سوف يرى . ثم يجـزاه الجزاء الأوفى** » (٣) .

وبقى أمر الله الينا « **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** » (٤)

وأمره « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ..** » (٥)

والغفوة لاتزال .. عتيدة عنيدة بليدة ..

والصحوة لم تزل .. وليدة وئيدة ..

فمن ذا يبدد الغفوة .. ؟

ومن ذا يسدد الصحوة .. ؟

وبم نبدد ، وبم نسدد .. ؟

* * *

---

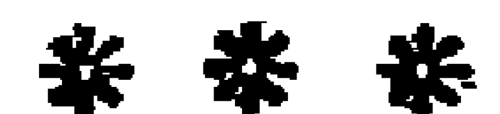
(٢) الاسراء : ٩٠ ـ ٩٣ (٣) النجم : ٣٩ ـ ٤١
(٤) الملك : ١٥ (٥) الأنفال : ٦٠

الفتوة التى يعيشها المسلمون اليوم ميراث قرون ..
والصحوة التى يعيشها المسلمون او يعيشها الاسلام عمرها سنون ..

ومن ثم تحتاج الفتوة الى مزيد من الجهاد والجهود للتجديد
وتحتاج الصحوة الى مزيد من الجهاد والجهود للتسديد ..

ولقد يكون هذا وذلك فى ثنايا الحديث عن التكوين ، ثم عن التمكين .. بيد ان لنا قبل هذا كله أن ننظر فى انفسنا ، وفيما حولنا .

ماذا يقف امام الدعوة اليوم من عوائق ؟ !



٢ ـ عوائق فى طريق الدعوة

● **تقدمة :**

تحدثنا من قبل عن عقبات فى طريق الدعوة (*) .

وهنا نتحدث تحت عنوان العوائق ، ونحسب أن فى هذا اللفظ جديدا اذ يجمع معنيين فى وقت واحد :

معنى الحبس أو المنع ..

ومعنى الصرف أو الشغل .

وفى المعنى الأول القوة والقهر ،

وفى المعنى الثانى معنى الاغراء أو الاحتواء

ويبقى الهدف واحدا فى الحالين وان اختلف الأسلوب !

وعوائق الدعوة كثيرة ، منها ما هو داخلى ، ومنها ما هو خارجى .

والخارجى .. خارج الأمة أو خارج الدولة .. كالتيار الشيوعى المناهض للدعوة ، وكالتيار الصليبى المناهض لها كذلك ، وكالتيار الصهيونى المناهض والمحارب كذلك ، وقد أفضنا فى الحديث عن هذه التيارات فى غير هذا المكان (١) .

(*) محاضرة عامة ألقيت فى جامعة البترول بالظهران عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) تحت هذا العنوان وتحدثنا عنها فى أكثر من مؤلف تحت عناوين متعددة : راجع أساليب الغزو الفكرى ، حاضر العالم الاسلامى ، التخطيط للدعوة الاسلامية ، اتجاهات فكرية معاصرة .

(١) راجع اتجاهات فكرية معاصرة .

لكننا نعنى بالخارجى هنا ما هو خارج الصف الاسلامى ..

ونعنى به ذلك النفر من البشـر الذى تسمى باسماء المسـلمين ، وحمل خيانة ضرب الحركة الاسلامية والتصدى لها ، ممن تنبأ بهم رسول الله ﷺ حين قال « دعاة على ابواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيهـا » ، قالوا : صفهم لنا يارسـول الله ، قال : « هم من جلدتنا ويتكلمون بلساننا » ..

وسوف نقتصر باذن الله فى الحديث عن العوائق الخارجية بهذا الصنف من الناس .

أما الداخلى من العوائق ..

فنعنى به فى مقابلة ما سبق ، ما هو داخل نفوسنا ، وداخل صفوفنا مما يعوق حركة الدعوة الى الله ..

ولما كان هذا اللون من العوائق من الأهمية بمكان فاننا نبدأ به ثم نثنى بالآخر .

أولا : عوائق من الداخل

اما أن تكون من داخل النفوس ، أو من داخل الصفوف ، ونتعرض لها على التوالى .

● **أما العوائق داخل النفوس :**

فهى تقوم بالنسبة للناس كافة .. لكنها تكون بالنسبة للدعاة أشد وأخطر .

واذا هى مثلت بالنسبة للناس جوانب وصوارف ، فهى تمثل بالنسبة للدعاة امراضا واخطارا .. وهكذا: حسنات الأبرار سيئات المقربين !

والجواذب ، هى جواذب الى الدنيا ٠٠٠جواذب الى الأرض ٠٠
والصوارف ، هى صوارف عن الآخرة٠٠صوارف عن السماء ٠٠٠
وهكذا تضيع الدعوة بين الصوارف والجواذب اذا لم ينتبه اليها الانسان ، ولم يعالجها الدعاة ٠

وجواذب الدنيا صوارف عن الآخرة ، وصوارف الآخرة جواذب الى الدنيا ٠٠ وهكذا تجتمع الصوارف والجواذب على ضلال الانسان وهلاكه ٠٠

ونتحدث عن نوعين من العوائق داخل النفوس ٠

أحدهما : قد يبدو طبعيا فى الناس ، لكنه بالنسبة للدعاة يبدو غير طبعى ٠

وثانيهما : هو مرض سواء عندنا عند الناس أو عند الدعاة٠
وثالثهما : أمراض مشتقة من تلك الأمراض ٠

اما النوع الأول فيتمثل فى جواذب وصوارف ثلاثة :

المال ٠٠ النساء ٠٠ البنون ٠

والمال : أمر طبعى بالنسبة للناس أن ينشغلوا به ، فكهذا أراد الله من خلافة الانسان فى الأرض،أن يكون عمارة لهذا الكون٠٠٠وهو واضح فى آيات وأحاديث كثيرة ٠

لكن عندما يزيد الانشغال بالمال عند الشخص العادى فانه يصير صارفا له عن الآخرة ، جاذبا له الى الدنيا ،

ومن ثم منسيا له دوره الذى أراده لله له ، أو الذى خلقه من أجله :

« **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** » (٢) ، « **شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا** » (٣) ، « **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله** »(٤) ٠

ويلحق بالمال ويأخذ نفس حكمه : «**القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث** » (٥) [من سورة آل عمران : ١٤] ٠

ويلحق كذلك به ويأخذ نفس حكمه « **اموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها** » [من سورة التوبة : ٢٤] ٠

والنساء : وضع طبعى أن يميل الرجل الى امرأة ٠ وان تميل المرأة الى رجل ، فتلك فطرة يكتمل بها النوع البشرى ويستمر « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة** »(٦) ٠

لكنها تتحول الى صوارف وجواذب :

ان زادت عن حدها فى حالة الحليلة ٠

وان خرجت عن حدها فى حالة الخليلة ٠

---

(٢) الذاريات : ٥٦ ٠ (٣) الفتح : ١١ ٠

(٤) المنافقون : ٩ ٠

(٥) فى هذا المعنى يقول القرطبى : ذكر أن المال أربعة أصناف، كل صنف يتمول به صنف من الناس ، فالذهب للتجارة والخيل للملوك ، والأنعام لأهل البوادى ، والحرث لأهل القرى جـ٤ ص ٣٦٠

(٦) الروم : ٢١ ٠

اما أن تزيد عن حدها فوارد اذ يصير حب الزوجة أشد من حب الله ورسوله والجهاد فى سبيله ، فتقعد بالمسلم عن غايته ، وتهبط به عن سمائه ورفعته .

أما أن تخرج عن حدها فوارد .. اذ يزين الشيطان للانسان قضاء الشهوة فى حرام ، أو يبدأ من سماع الصوت ، وينتقل الى استمتاع النظر ، ثم يهوى بعد ذلك الى ما هو اشد واخطر .

الأمر الذى أشار اليه حديث شريف: «فى الصحيح عن أبى هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العينين النظر ، وزنا اللسان النطق ، وزنا الأذنين الاستماع ، وزنا اليدين البطش ، وزنا الرجلين الخطى ، والنفس تمنى وتشتهى .. والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » .. ونسأل الله العافية .

والأمر الأول وارد على الدعاة وهو خطير .

وكم من الدعاة قعدت بهم زوجة أحبت الدنيا أو خشيت الخطر ، فقعدت بهم فى منتصف الطريق أو حتى ما يكون بينه وبين الجنة الا ذراع !

والأمر الثانى ليس واردا على الدعاة .. لكنه خطر يهددهم .. خاصة فى بلاد فيها المنكر معروف ، والمعروف منكر ، وفيها مواقف الشيطان كثيرة .. والله المستعان .

ولقد ورد الحديث عن النساء عاما فى سورة آل عمران فهو يشمل

الحليلة والخليلة « زين للناس حب الشهوات من النساء ... »(٧) .

وعندما كان الخطاب للمؤمنين اقتصر التحذير على الحليلة دون الخليلة لندرة الاحتمال الثانى « قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا »(٨) .

فهم مع المال زينة الحياة الدنيا .

وهم صوارف وجواذب ان زاد حبهم عن حب الله ورسوله وجهاد فى سبيله .

وهو وارد على الناس (فى سورة آل عمران) ووارد على المؤمنين (فى سورة التوبة) ويلحق بهؤلاء سائر الأقارب الذى قد يشكلون : جواذب او صوارف ، فيلحق بالأبناء : الآباء ، والاخوان ، والعشيرة ، وهذه الثلاثة زادتها سورة التوبة .

* * *

وأما النوع الثانى : فهو الأمراض التى تنتاب الناس فى نفوسهم ، ومن باب أولى الدعاة ، فتشكل صوارف خطيرة عن دعوة الله ، وقد لا يحسها الكثيرون ، بل قد يزين الشيطان لهم أنهم أصحاب الحق وأن غيرهم على باطل .

وأول هذه الأمراض : شح مطاع .

ولئن « احضرت الأنفس الشح »(٩) فانه ــ رغم ذلك ــ مرض .

---

(٧) آل عمران : ١٤ . (٨) التوبة : ٢٤ .

(٩) النساء : ١٢٨ بلفظ : « واحضرت ... »

والشح يمثل أثرة تقتل الأخوة التى ينميها الايثار !

والشح يدفع الانسان أن يحب ذاته ، وأن يحب ماله ، وأن يحب اهله وابناءه ۰۰۰ أكثر من حب الله ورسوله والمؤمنين ۰

واخطره أن يحب ذاته أكثر حتى من أهله وأبنائه والمؤمنين ۰ وأشد منه أن يحب ماله أكثر من ذاته ، فيشقيه المال فى الدنيا، ويكون له فى الآخرة أشد شقاء « **يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** » (١٠) ۰

* * *

وثانى هذه الأمراض : **هوى متبع** ۰

والهوى المتبع ۰۰ قد يبدأ فى القلب وئيدا أو وليدا ۰۰ ثم يكبر شيئا فشيئا ۰۰ حتى يعدل حب الله ، وحب رسوله ۰۰ أو حتى يزيد عليهما ۰

وهو قد يشمل ۰۰ شخصا ۰۰ أو شيئا ۰۰ أو مبدأ ۰۰

وقد يسبق ذلك حبه لنفسه ، وقناعته بها ، وزهوه وغروره ۰۰ والشخص قد يكون حليلا ۰۰ كزوجة أو ابن أو أخ أو عشيرة ۰

وقد يكون خليلا ۰۰ كعشيقة أو معشوقة أو رجل أو غلام ۰۰۰ وكل ذلك فى دائرة الحرام ۰

والشىء قد يكون حلالا ۰۰ كمال ، أو تجارة ، أو مسكن اكتسبها فأحبها كحب الله أو زيادة ۰

---

(١٠) التوبة : ٣٥ ۰

وقد يكون حراما ·· كذهب أو فضة ، أو منصب وثب عليه بغير طريقه الشرعى أو بغير رضا من الناس ، أو خيل مسومة (ومعها السيارات والطائرات) ·· أو غير ذلك من عرض الحياة الدنيا مما يتحصل الناس عليه عن غير طريقه الشرعى ·· وكل ما أخذ بغير طيب نفس فهو حرام ، وكل ما أخذ برضا مشوب أو كما عبر الحديث : بـ « سيف الحياء » فهو حرام ·

والمبدأ ·· ان كان مصادما لشرع الله فهو حرام ·

كألوان العصبية المختلفة المجردة عن الدين من قومية ، ووطنية ، وجنسية،وقبلية··لقول رسول الله ﷺ : «ومن دعا الى عصبية فهو من حثى جهنم وان صلى وصام وزعم انه مسلم » ·

ويلى ذلك فى الحرمة شدة ·· المبادىء المستوردة ·· من علمانية ، وانسانية ، ووجودية ، وماسونية ··· وغير ذلك مما أبتدع الغرب والشرق ومما سيبتدع ···

ذلك ان أكثر هذه الشعارات وان خفى حينا فى حقيقته،أو أخفاه أصحاب تحت شعارات أخرى،كما فعلت الماسونية دهرا اذ تخفت تحت شعارات:الحرية والمساواة والاخاء،مما ظنه الناس دينا أو اشتقاقا من الدين ، فلما تكشف أمرها ·· تخفت تحت أسماء جديدة مثل نوادى الروتارى ، والليونز ، وشهود يهوه ··· الى آخر ما تفتقت عنه العقلية الصهيونية اليهودية الواقفة خلف تلك التنظيمات والمسميات!

وكما بدأنا حديثنا حول الهوى ·· انه يبدأ وليدا ، ووئيدا ···

حتى يبلغ فى النهاية أن يعدل حب الله او يزيد عليه،هنا يتحقق قول الله سبحانه « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله « افلا تذكرون » (١١) ·

وتلك هي المصيبة التى يعيشها اكثر الناس ولا يشعرون ·

وتلك هى المصيبة التى وقع فيها أكثر المسلمين حين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وحين نسوا دينهم ومبادئهم ، وراحوا يستوردون او يقلدون ، او يسقطون فى دعاوى التقدم والتحضر التى يرفعها الغزو الفكرى الآثم الزاحف الى بلاد المسلمين !

* * *

وثالث هذه الأمراض اعجاب كل ذى راى برايه

وقد يكون الرأى ·· خاطئا ·

وقد يكون الرأى ·· خطأ ·

وقد يكون الرأى ·· مرجوحا ·

وقد يكون الرأى ·· راجحا ···

لكن الاعجاب فى هذه الحالة يدفع صاحبه الى ان يفضله على رأى غيره ، بل يعتبره هو الحق ، وغيره هو الباطل ··· ومن ثم يورث الفرقة ·· التى عدها الاسلام أخت الكفر ، او هى تورث الكفر « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات « واولئك لهم عذاب عظيم ·· يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ·· فأما

---

(١١) الجاثية : ٢٣ ·

الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » (١٢) ·

وفى الفرقة التى حدثت عندما تداعى الأنصار : ياللأنصار ، وتداعى المهاجرون ياللمهاجرين ، وكادوا ان يقتتلوا قال فيها رسول الله ﷺ **« أبدعوى الجاهلية وانا بين أظهركم ؟ ، لاتغدوا بعدى كفارا يضرب** بعضكم رقاب بعض » ونزل القرآن مؤيدا **« يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين · وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله » ؟ (١٣) ··**

والرأى ان كان خاطئا ·· فهو خطيئة ·· والاصرار عليه كذلك خطيئة ·· كأن يكون مصادما لنص قطعى ، أو لمعلوم من الدين بالضرورة ، او لما هو موضع اجماع ·· وهذا أمره سهل ·

ويكون الرأى خطأ ·· ان كان دون ذلك ·· وهذا أمره سهل كذلك ··

لكن الصعب فى الحالين الآخرين ·· أن يكون الرأى مرجوحا او ان يكون راجحا ··

والرأى المرجوح أضعف من الراجح · ومن ثم فعلى صاحب المرجوح ان يخضع للراجح ·· لأن دليله أقوى ، والرأى الراجح اقوى من المرجوح لأن دليله أقوى ·

ومع ذلك فعلى صاحبه أن يتنازل عنه الى المرجوح ان كان بتمسكه

---

(١٢) آل عمران : ١٠٥ ، ١٠٦ ·

(١٣) آل عمران : ١٠٠ ، ١٠١ ·

بالتراجع يؤدى الى الفتنة ، فالاجتماع على المرجوح خير من الافتراق على الراجح ..

ترى متى يدرك الدعاة والعلماء تلك الحقيقة .. فيدركها من بعدهم سائر الناس ؟ !

* * *

وثالث هذه الأنواع .. أمراض اشتهر بها هذا العصر . وان وجدت فى عصور خلت ، وقد يمكن ردها الى النوعين السابقين ، لكنا نفرد لها كلمة لعموم البلوى بها ...

وأول هذه الأمراض : **حب الامارة** .

وهى تدخل تحت الشح المطاع او للهوى المتبع أو اعجاب كل ذى رأى برأيه .

فقد يكون مصدرها شح النفس وأثرتها ، ومن ثم تفضيل النفس على الغير فى هذا المجال .

وقد يكون مصدرها الهوى المتبع .. حب الامـارة .. كسلطة ، ووجاهة ، ومن ثم اللهث وراءها ، كما يلهث الكلب خلف العظمة أو خلف جيفة قذرة !

وقد يكون مصدرها اعجاب كل ذى رأى برأيه .. فيرى ان رأيه هو الحـق ورأى غيره هو الباطل ، ومن ثم يقوده هذا الى حب الامارة للانتصار لرأيه .

لكن يبقى التفرد فى كل الأحوال ... ان حب النفس للامارة ،

ونزوعها الى السلطـة والغلبة ، ناجم عن غـريزة لم تهذب ، يمارسها الحيوان فى الغابة على من دونه قوة من سائر الحيوانات ..

من أجل ذلك حارب الاسلام حب الامارة .

فقالها رسول الله ﷺ « لا نوليها من طلبها » .. لأنه يحتاج الى نظام عن هذه الشهوة .

وقالها رسول الله ﷺ : « انك لضعيف ، وانها لأمانة ، وانها يوم القيامة خـزى وندامة .. الا من أخـذها بحقها وأدى الذى عليه فيها» .

اما الاحتجاج بقول يوسف عليه السلام فيما ذكـره القرآن « اجعلنى على خزائن الارض ، انى حفيظ عليم » (١٤) فنعتقد أن فيها احتمالين : اما أن هذا من شرع من قبلنا الذى وجـد له ناسخ عندنا فيما ذكرنا من قول الرسول ﷺ .

والاحتمال الثـانى ـ وهو عندنا أرجح ـ أن ما قاله يوسف عليه السلام لم يكن طلبا لامارة ، لأنه كان قد ولى الامارة قبل هذا الطلب بقول الملك له : « انك اليوم لدينا مكين أمين » (١٥) .. وماذا يكون التمكين ان لم يكن هو التولية ، فلما ولى .. اختار نوع الولاية التى يجد نفسه أعلا بها ، « قال اجعلنى على خزائن الأرض ، انى حفيظ عليم » (١٦) ...

---

(١٤) يوسف : ٥٥ .

(١٥) يوسف : ٥٤

(١٦) يوسف : ٥٥

تماما ـ ولتقريب الأمر ـ كما يرشح واحد من الناس وزيرا ٠٠. ولا تحدد له الوزارة ، فيقول لمن رشحه : انى اصلح للخزانة ولا اصلح للخارجية ، أو العكس او غير ذلك ٠٠٠ او نحو من ذلك٠

* * *

المرض الثانى ـ غرور أو قصور :

غرور فى نفس الداعية ٠٠ يغشى بصره فينحرف به عن طريق الدعوة ٠

وقد يتأتى الغرور ٠٠ من مرض الاعجاب ، وكثيرا ما يكون منه ٠

وقد يتأتى من تقديمه فى غير موقعه ، أو قبل أوانه ، أو تخطيته ـ بغير حق ـ فوق الرقاب ٠

وقد يتأتى من تصفيق العوام او الهوام له وهتافهم باسمه٠٠ فيصدق انه البطل وانه المنقذ ـ كما حكى أمير الشعراء :

اسمع الشعب « ديون » كيف يوحون اليه
ملأ الجو هتافا بحياتى قاتليه
اثر البهتان فيه وانطلى الزور عليه
ياله من ببغاء عقله فى اذنيه

والغرور كما يحطم فى المجال العام ، فهو فى مجال الدعوة والدعاة اكثر تحطيما ٠٠

أما القصور فهو عكس الغرور ، وهو كذلك مرض ٠

ورغم القصور يتقدم الداعية ، ولا يعرف قدر نفسه ، والرسول ﷺ يقول « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه » ٠

ويصحب الغرور والقصور •• نفور أو تنفير ••

نفور الناس من الدعوة والداعية ••

أو تنفيرهم •• والاصرار على هذا التنفير ••

وفى مكان آخر قلنا : الله أكبر مليكف الدعاة عن التنفير وعن التعسير •

وليعلموا ان بهم قصورا •

وليجلسوا فى بيوتهم ان لم يغيروا ما بانفسهم ، فان الله أغير على دينه منهم « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم » (١٧) •

* * *

المرض الثالث ـ اهمال وتقصير :

اهمال وتقصير فى التخطيط •• ونحن اليوم نعيش عالم التخطيط ، وقد سبق الاسلام فى التخطيط (١٨) •

---

(١٧) محمد : ٣٨ •

(١٨) راجع د• عبد النعيم حسنين • الدعوة الى الله على بصيرة ١٤٠٤هـ ـ وفيه يقول :

« فالاسلام ينظم حياة المسلمين فى كل ميدان ، فلا يصدر منهم عمل الا وفقا لتنظيم وتخطيط » ص ٢٨٨ ثم ضرب مثلا من صلاة المسلمين فى وقت الحرب ، ثم مثلا آخر من التنظيم والتخطيط الاقتصادى ليوسف عليه السلام بعد رؤيا الملك [الآيات الأولى من سورة النساء آية ١٠٢ ، والثانية من سورة يوسف ٤٧ ـ ٤٩] •

وراجع التخطيط للدعوةالاسلامية لمؤلف ، ولعله أول ماكتب فى هذا المضمار ، وان كنا ننوى اعادة كتابته على ضوء ما ظهر لنا من معانى التخطيط واستعمالاته ، والحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو احق الناس بها ••

ومعه اهمال ونقصير فى الاعداد ٠٠ رغم أمر الله البنا واضحا وصريحا « وأعدوا » ورغم أن بعضنا يرفعها شعارا ٠٠٠ فقد قصرنا فى تنفيذها كثيرا ٠

ومعه اهمال وتقصير عند التنفيذ ٠٠

ولعل الأخيرة هى أهون الثلاثة ٠٠٠

ولعل الأولى اخطرها ٠٠٠

ولعل ما نعانيه أحيانا ٠٠ يكون ثمرة ذلك الاهمال والتقصير ، او جزاء من الله على ذلك الاهمال والتقصير ! مع ايماننا الكامل بقدر الله وقضائه ، ومع يقيننا كذلك بأن المحن والأزمات جزء من سنة الله فى الكون «أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون»(١٩) ٠

لكن كما أمرنا الله سبحانه وتعالى « وفى انفسكم ، أفلا تبصرون » (٢٠) ٠

وكما اخبرنا سبحانه وتعالى « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير » (٢١) ٠٠٠.

وكما قال فيمن هم خير منا « او لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ، قل هو من عند أنفسكم » (٢٢) ٠٠٠

نقول من هذا كله ٠٠ ينبغى أن نفتش فى انفسنا لنصلحها ، قبل ان نلقى بأخطائنا وخطايانا على القضاء والقدر !!

* * *

---

(١٩) العنكبوت : ٢ ٠ — (٢٠) الذاريات : ٢١ ٠

(٢١) الشورى : ٣٠ — (٢٢) آل عمران : ١٦٥ ٠

تلك كانت عوائق النفوس .. أجملناها فى جوانب وصوارف عامة [النساء ، البنون ، المال] ثم أتبعناها بالأمراض الخاصة [هوى متبع ، وشح مطاع ، واعجاب كل ذى رأى برأيه] ثم أتبعناها بأعراض مشتقة من تلك الأعراض والأمراض [حب الامارة ، غرور وقصور ، اهمال وتقصير] وننتقل الى العوائق داخل الصفوف .

* * *

● **عوائق الصفوف :**

عوائق النفوس تمتد ـ بلا شك ـ الى الصفوف .. لتصير عوائق للصفوف . واهمها من النوع الثانى « اعجاب كل ذى رأى برأيه » ، واهمها من النوع الثالث : « حب الامارة والتقصير والاهمال » .

ويمتد المرض الأول ، ليحاول صاحبه اقناع من سار خلفه من الصفوف .. فتحدث الفرقة فى الرأى داخل الصف الواحد او الصفوف الواحدة .

ويمتد المرض الثانى ليحاول صاحبه اقناع من حوله أو من خلفه باحقيته بالامارة ، وقد يزداد تدليا فيعدهم بتوزيع المناصب والإسلاب ، ومن ثم يفترق الصف الواحد ، او الصفوف الواحدة .

ويمتد المرض الثالث داخل الصفوف اذا كان التقصير والاهمال فى التخطيط ، او زاد على ذلك فامتد الى الاعداد والتنفيذ .

بيد أنى استطيع ـ باذن الله ـ أن اجمع هذه الأمراض لأضمها الى أمراض أخرى فالخص : عوائق الصفوف ثلاثة :

المعصية .. التنازع .. تعجل الثمر ..

ونتناولها باذن الله على التوالى .

١ ـ المعصية :

كما ان الطاعة من أسباب النصر .. فالمعصية من أسباب الهزيمة ..

ومن آثار الراشدين « انكم تنصرون بطاعتكم ومعصية عدوكم » .

ومن آثار الراشدين « انكم تنصرون بطاعتكم ومعصية اقدامكم »(٢٣) .

وعكس ذلك « **حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة** » (٢٤) .

والمعصية فى مجال العقيدة أخطر انواع المعصية ..

لنها تهبط بالمسلمين الى مستوى أعدائهم ، فكيف ينصرهم الله ، « **وما النصر الا من عند الله** »(٢٥)

---

(٢٣) محمد : ٧ . (٢٤) آل عمران : ١٥٢ .

(٢٥) آل عمران ١٢٦ ، الأنفال : ١٠ .

وألوانها كثيرة .. وأشدها اليوم عبادة البشر ..

ان عبادة الحجر .. لم تعد واردة بعد ما ارتقت الانسانية شيئا ما ، وبعد ما استنارت بكثير من العلم الذى قد يرفعها عن ذلك الدرك الحقير !

أما عبادة البشر فهى أخطر ألوان الشرك فى هذا العصر .

ولئن بدأها اليهود والنصارى حين قالوا : عزير ابن الله ، أو المسيح ابن الله ، وحين نقلوها بعد ذلك الى أحبارهم ورهبانهم كما حكى القرآن « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم »(٢٦) .

وحين شرحها رسول الله ﷺ فى قوله لعدى بن حاتم « بل أحلوا لكم الحرام ، وحرموا عليكم الحلال فاتبعتموهم فتلك عبادتكم اياهم » .

فلقد صارت فى هذا العصر متمثلة فى حكام فرضوا أنفسهم على شعوبهم ، وأحلوا وحرموا ، وأطاعتهم شعوبهم ، بعضهم طواعية وبعضهم انخداعا ، وبعضهم كرها .

وتمثلت كذلك فى زعماء رفعتهم أحزابهم وغوغاؤهم فوق الرؤوس ليرفعوا شعارات مصادمة لشريعة الله ... فكان دفاع أنصارهم وطاعتهم لهم عبادة لهم من دون الله ...

---

(٢٦) التوبة : ٣١ .

وهـكذا ...

ان الأرباب أو الطواغيت القائمة اليوم فى أكثر العالم الاسلامى هى اليوم أخطر أنواع المعصية فى مجال العقيدة .

أما المعصية فى سائر الفروع ...

فهى معاص يتأخـر بها نصر الله ... وأشـدها فى نظرى فرقة المسلمين ، وسوف يرد الكلام عنها ، وأخفها ترك السنن .

ومع ذلك تأخر نصر الله يوما لمـا ترك المسلمون سنة السواك، فلما عـادوا اليها عجـل الله لهم بنصره اذ ألقى الرعب فى قلوب اعدائهم فظنوا انهم يسنون أسنانهم ليأكلوهم !!

* * *

٢ ـ التنـازع :

التنازع داخل الأسرة الواحدة يفقدها وحدتها ويقطع أرحامها .

والتنـازع داخـل القبيلة الواحـدة يفقـدها هيبتها ويطمـع غيرها فيها ..

والتنـازع داخـل الأمـة الواحـدة يفقدها رهبتها ويشجع أعداءها ...

ذلك منطق الواقع ، ومنطق التاريخ .. بغير حاجة الى تدليل .

وهو كذلك منطق الوحى ..

اذ جعل الفشل قرين التنازع وثمرته الأكيدة ، بل وجعل مع

الفشل ذهاب الريح وفقدان الهيبة وضيـاع القوة : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » (٢٧) .

لكن من أين يأتى التنازع ...

انه يتأتى من أمراض النفوس وقد تقدمت :

شح مطـاع ، هوى متبع ، اعجـاب كل ذى رأى برأيه ، حب الامارة ، غرور ، قصور ، تقصير ...

بيد أنه على المساحة الأكبر نجد أسبابا رئيسية ثلاثة تفضى الى الفرقة ، ومن ثم الى التنازع .

أولها : اختلاف المذاهب وتنازعها ..

واعنى بالمذاهب .. المذاهب السياسية ، لا الفقهية ، تلك التي قد تستند الى اختـلاف فى العقيدة ، ومظـاهر ذلك فى الزمن المتقـدم ولا نزال فيه بعض المظـاهر حى : افتراق المسلمين الى سنة ، وشيعه ، وخوارج .

وقد تحدثنا عن هذه الفرقة فى غير هذا المكان (٢٨) .

لكن يعنينا هنا أن نقول انه وان كفرت الشيعة والخـوارج أهل السنه ، فان أهل السنه لا يكفرون الفرقتين ، الا من غالى منهم ليقع فى الشرك او الكفر (٢٩) .

---

(٢٧) الأنفال : ٤٦ .

(٢٨) راجع التخطيط للدعوة الاسلامية ـ للمؤلف .

(٢٩) مثل النصيرية التى تعد فرقة من فرق الشيعة عند البعض والتى تؤله عليا رضى الله عنه .

وهذا يتيح لنا ان نقدم بعض الحلول للتقارب بين من يقولون لا اله الا الله ، محمد رسول الله ... وان اختلفوا فى بعض الأصول أو بعض الفروع .

ثانيها : اختلاف فكرى لا مذهبى ..

نتيجة اجتهادات تجرى داخل المذهب الواحد ، او داخل الجماعة الواحدة ، او داخل الجماعات المتقاربة .

ويؤدى التعصب ، واعجاب كل ذى رأى برأيه الى اتخاذ هذه الاختلافات ذريعة للتنازع .

مع أن حل هذه سهل ...

أن يرد الامر أولا الى الله والرسول .

ثم أن يحكم الكبار فى أمر التنازع ..

ثم أن نتعاون فيما بيننا فيما اتفقنا عليه [وهو كثير من اصول ثم فروع] ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه [وأكثره فروع] .

ثالثها : اختلاف حركى :

قد لا يكون نتيجة اختلاف مذهبى أو فكرى ، لكنه يكون نتيجة تجميع خاطىء غالبا ما يلعب حب الامارة دوره فيه .

ومظهر الأخير .. كثير ، وواقع !

* * *

• تعدد الثمر :

الناس تزرع لتحصد ... لتحصد شيئا جنيا .

فاذا زرعوا ليحصدوا حصرما(٣٠) أو ثمرا قبل نضجه اتهمهم الناس فى عقولهم !

فما بال الدعاة والسائرين فى طريق الدعوة لا يستفيدون من دروس القدرة والطبيعة ؟

ما بالهم يتعجلون الثمر قبل نضوجه ٠٠ ؟

ما بالهم – أحيانا – يجنونه حصرما ٠٠ ؟

ما بالهم – أحيانا – يجنون نصفه حصرما ، ونصفه ناضجا أو نصفه ناضج ٠٠ ؟

ما بالهم – لا يصبرون وقد أمروا أن يصبروا حتى ينضج الثمر فينتفعون به ؟

ذلك أمر رب العالمين « واصبروا ، ان الله مع الصابرين »(٣١) ٠

وذلك ما عابه رسول الله ﷺ على قوم من قبل : « ولكنكم قوم تستعجلون » ٠٠

هذا من ناحية ٠

ومن ناحية أخرى ان قوما قد يستعجلون،فيقومون بعمل بسيط أو ساذج لا يزيل المنكر ، بل يتخذه المنكر وسيلة وذريعة لمزيد من البطش ٠ معتبرا أنه يدفع عن نفسه وعن شرعيته ازاء عدوان وقع عليه ٠٠ فتؤدى محاولة ازالة المنكر الى ما هو أنكر منه ٠

أعلن قوم الجهاد على نظام كافر كفرا بواحا ، ولم يكونوا على

---

(٣٠) عنبا غير ناضج ٠ (٣١) الأنفال : ٤٦ ٠

مستوى مقاومة هذا النظام او تغييره ، وراحوا يمارسون عمليات قتل لبعض أتباع النظام ..

فاتخذ النظام ذلك ذريعة لعمليات قمع وبطش شديدين أودت بعشرات الآلاف من الضحايا .. وذلك دون أن يحدث تغيير للنظام، بل زاد دعمـه من القوى الكافرة الكبرى ، وزاد رسوخ النظام ، واورث ذلك للجهاد « مرارة » فى نفوس الناس ، بل زادهم يأسا من أمكان ازالة النظام ، فضلا عن ان الكثيرين ألقوا بلائمة الضحايا على من جاهدوا ، وليس على النظام الكافر الذى قتلهم .

ومن القواعد الشرعية المستقرة أن ازالة المنكر لا ينبغى أن تؤدى الى ما هو أنكر منـه ، فان ادت فان السكوت على المنكر أولى من الازالة ... وهو ما ينطبق فى الحالة السابقة .

وثمة اعتبار ثالث ...

ان جماعة ما قد تكون جاوزت مرحلة التبليغ الى مرحلة التكوين ، وقد تكون اشرفت على مرحلة التمكين او التنفيذ ... واعدت لذلك عدتها ، ورسمت لذلك خطتها .

وقد تكون أشرفت على مرحلة التمكين أو التنفيذ ... واعدت لذلك فتنتقل وهى بعد ناشئة وقليلة الخبرة فتستعجل مرحلة التنفيذ.. فيؤدى ذلك الى اجهاض عمل الأولى ...

فهل يصح ذلك فى منطق العاقلين ؟

ان الفرقة داء ومرض •

وان انتفاء التعاون ـ رغم امكانه ـ كذلك داء ومرض •

فهل يضاف الى المرضين مرض ثالث : هو اجهاض بعضنا لأعمال البعض الآخر ؟

* * *

تلك أمراض ثلاثة •• نسأل الله العافية منها ••• للصف الاسلامي •• ليكون كما أراده رب العالمين « **ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** » (٣٢) •

وليستحق نظر الله اليه « ان الله لا ينظر الى الصف الأعوج »

واذا نظر الله الينا •• نزلت بنا السكينة ، وغشيتنا الرحمة ، وحل بنا فضل الله ونصره •••

* * *

وبحديثنا عن عوائق النفوس ، ثم عوائق الصفوف ، ننتهى من الحديث عن العوائق من الداخل ـ لنتحدث بعدها عن العوائق من الخارج •

وقبل أن نمضى نحب أن نسجل ملاحظة هامة •

ان العوائق من الداخل أخطر بكثير من العوائق من الخارج •

لأنه اذا سلم البناء ، فانه يستعصى على الهدم من الخارج •

---

(٣٢) الصف : ٤ •

كذلك اذا أحكمت الأبواب والنوافذ لم يسهل سرقته من الخارج ·

أما اذا وجدت الثغرات من الداخل فان البناء يسهل هدمه ويسهل كذلك سرقته ·

وننتقل بعد ذلك للحديث عن العوائق من الخارج ـ بمشيئة الله ـ والله المستعان ·

* * *

ثانيا : عوائق من الخارج

قلنا اننا نعني بالخارج فى هذا المجال ما هو خارج الصف الاسلامى ·

وقلنا اننا نقتصر فى هذا الموضوع على نوع من هذه العوائق هو ذلك النفر من البشر ، الذى حمل على كاهله «خيانة» ضرب الدعوة الاسلامية فى الآونة الأخيرة ، وتحقق بذلك تنبؤ رسول الله ﷺ حين قال فى حديث حذيفة بن اليمان « دعاة على ابواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها ، قال : صفهم لنا يا رسول الله ، قال عليه الصلاة والسلام : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بلساننا » ···

وتناولنا هذا الموضوع بشىء من التحليل فى كتابات سابقة(*)·

(*) فى الزنزانة ، عندما يحكم الطغاة ـ سرد واقعى لما يحدث من دعاة جهنم ·

ـ حاضر العالم الاسلامى ـ حديث سريع ·

ـ دعاة لا بغاة ـ حديث سريع ·

ـ الاتجاهات الفكرية المعاصرة ـ باب الاتجاهات الاسلامية المعاصرة : تحليل واسع ·

ـ ادب الحوار والمناظرة ـ تحليل واسع كذلك ·

ونختار من بين ما سبق ـ ونضيف اليه باذن الله ـ حديث حول :

(أ) المحن .. هل هى قضاء وقدر ..

أم هى من صنع دعاة جهنم .

أم هى من أخطاء الحركة الاسلامية المعاصرة .

(ب) من الذى يشارك فى صنع المحن ...

(جـ) هل المحن شر محض ...

وما ردود الفعل لدى الدعوة فى هذه المحن ؟

(أ) هل المحن قضاء وقدر ؟

لا شك أن المحن قدر من قدر الله، **«وكان أمر الله قدرا مقدورا»(٣٣)**

تلك بدهية ايمانية لا تحتاج الى دليل .

ومع ذلك فقد ساق لنا القرآن الدليل .

ساقه فى قول الله سبحانه وتعالى **« ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (٣٤) .**

وواضح من الآيات الكريمات .. أن المحنة والاختبار قدر من قدر الله ، سنة ماضية الى يوم القيامة ..

أما السبب .. فليميز الله الخبيث من الطيب ، ليميز الله المؤمن من الكافر ، والصادق من الكاذب ليكون الحساب ، وليكون الثواب والعقاب .

---

(٣٣) الأحزاب : ٣٨ .   (٣٤) العنكبوت : ١ ـ ٣ .

وفى الحديث « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل »

و « يبتلى المرء على قدر دينه » .

هذا ما نسلم به بادىء ذى بدء .

لكن الله أمرنا أن ننظر فى الأسباب ، وان ننظر فى النتائج ..

فقال سبحانه «أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ، قل هو من عند انفسكم ، ان الله على كل شىء قدير . وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا ، وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان ، يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون»(٣٥).

فبين لنا سبحانه أن ما أصاب المسلمين :

(أ) كان باذن الله .

(ب) كان جزاء على ما بأنفسهم .

(جـ) ليعلم الله سبحانه ـ وهو العليم الحكيم : المؤمنين وليعلم المنافقين .

وفى قوله تعالى : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير » (٣٦) .

والآية صريحة:أن الشر الذى قد يصيب المسلم . فهو بكسبه.

---

(٣٥) آل عمران : ١٦٥ ـ ١٦٧ .   (٣٦) الشورى : ٣٠ .

وفى الحديث « من يرد الله به خيرا يعجل له فى العقاب » ·

تقول بعد ذلك :

ان ما يصيب الدعوة والدعاة ·· فيها جزء من كسب أصحاب الدعوات فيه دروس ربانية لهم : أن لايغتروا ، ألا يجعلوا فى صفوفهم من يتأخر بهم النصر ، ألا ينفروا ، أن لا يتعجلوا الثمر قبل نضوجه ، ان يحسنوا الاعـداد لعدوهم ، ألا يعطوا عدوهم فرصة الذريعة للبطش ، أن يتعلموا من دروس الفشل فلا يكرروها ·· وهكذا !

لكن هل نعفى صناع المحن ، وجلادو الأمم من المسئولية ؟

هل اذا أخطأ انسان فحاول عبور الطريق اثناء سير السيارات فعمدت احداها الى ضربه وقتله ···

هل نقول ان العابر هو المخطئ ، ونعفى القاتل العامد من كل مسئولية ؟ !

ان ذلك لا يجوز فى شرع الله ولا فى شرع الناس !

ومن ثم فاذا صح نسبة خطأ أو أخطاء الى أصحاب الدعوات · فالخطيئة والخطايا فى جانب الجلادين عند الله أكبر ·

وقديما تساءل قوم عن شرعية قتال الكفار فى الشهر الحرام ، وشككوا فى ذلك ، فتنزل الوحى واضعا للقاعدة الحكيمة :

ان للقتال فى الشهر الحرام كبيرة من الكبائر،لكن الصد عن سبيل

الله ، والكفر به وبالمسجد الحرام ، واخراج أهله منه ٠٠ كل ذلك أكبر عند الله ٠

ثم توضع القاعدة صريحة : « **والفتنة أشد من القتل** » (٣٧) ٠

وفى صياغة أخرى : « **والفتنة أكبر من القتل** » (٣٨) ٠

فكان الصد عن سبيل الله هو الفتنة ، وكان عند الله أكبر من القتل ٠

وما فعله الدعاة دون القتل بكثير ٠

وما فعله الجلادون فوق الصد بكثير ٠

فكيف نعفيهم من المسئولية ؟ !

ومن هنا ننتقل الى النقطة التالية ٠٠

* * *

(ب) من الذى يصنع المحن ؟

ظللت فترة أظن ما يظنه البعض ٠٠ أن الدعاة هم الذين يصنعون المحن ،أحيانا بسوء تصرفهم، أحيانا بتصادمهم مع السلطة ، أحيانا أخرى بعدم مرونتهم وتمريرهم للعواصف ٠٠ ! لكنى ـ بفضل من الله أسأل معه العافية ـ أقتربت بأقدامى من صناع المحن ، ورأيت كيف يصنعون(٣٩) ٠٠ واقتربت بفكرى ٠٠ حتى كشفت بعض

---

(٣٧) البقرة : ١٩١ ٠ (٣٨) البقرة : ٢١٧ ٠

(٣٩) راجع فى ذلك : فى الزنزانة ـ عندما يحكم الطغاة ٠

الوثائق التى تحدد وتؤكد دن البغاة ؟ (٤٠) ••• ونتناول هـاتين النقطتين ، ثم نثلث باذن الله بسؤال عن مسئولية القادة ومسئولية الجنود ـ والله المستعان •

١ ـ دن الواقع •• كيف يصنعون •• ؟

عايشت محنتين •• لكبرى الجماعات الاسلامية •• أولاهما كنت طليقا حرا ـ والأخرى كنت فيها حبيسا مقيدا •••

الأولى كنت لا أزل طالبا فى المرحلة الجامعية ، والثانية كنت أعمل قاضيا • ومارست قبلها مهنة القضاء • والآن أكتب عنهما ، وقد شرفنى الله ان أكون معلما وأستاذا أحاول بالمعايير الموضوعية والعلمية أن أتناول الأمور •

فأما عن المحنة الأولى :

فقد رأيت كيف اصطنعت اصطناعا •• كان الناس ـ ومعهم أصحاب الدعوة ـ قد ضاقوا بالحكم العسكرى الغاشم الذى اعقب الغاء الملكية فى مصر ، وضاقوا بما يمارسه من كبت وتجسس وحكم بالحديد والنار ، وضاقوا معه بتنكر أصحاب الانقلاب لشعاراتهم •• وظهر لأصحاب الدعوة ـ فيما تأكدت منه من بعد ـ أن رجال الانقلاب العسكرى قد انقلبوا على ما عاهدوا عليه من الحكم بالقرآن(٤١) ••

(٤٠) راجع فى ذلك : دعاة لابغاة •

(٤١) كان جمال عبد الناصر قبل الانقلاب قد أقسم على المصحف عند العالم الجليل الشيخ محمد الأودن على الحكم بالقرآن ، كما قرأ الفاتحة مع اللواء صلاح شادى على نفس الشىء •

وخاف رجال الانقلاب من موقف أصحاب الدعوة فارادوا أن يعجلوا لهم المحنة على المثل القائل « تغدى بصاحبك قبل أن يتعشى بك » ، وفى يوم مشهود ، وقف رئيس الانقلاب يخطب فى شرفة بالاسكندرية ، واطلق عليه عيارات نارية ، وهو مستمر فى وقفته لا يبالى بالعيارات النارية ، وهو يهتف بالجماهير : أيها الرجال فليبق كل منكم فى مكانه ، انا فلان خلقت فيكم العزة ، وخلقت فيكم الحرية ، وخلقت فيكم الكرامة ... وكان هذه النار لا تطلق عليه ، امر يستحيل ان يفعله أشجع الشجعان ، وفى اليوم التالى طالعت الصحف ، ودهشت لأمرين : الأول ما أذيع من أن « الرئيس » كان يحمل قلما يكتب حبرا احمر ، وانكسر القلم أثناء اطلاق الرصاص(!) فرسم بقعة حمراء على صدره زادت فى حماس الجماهير لأن الناس ظنوا أنه اصيب ! ، وعجبت كيف يحمل رئيس دولة قلما ضعيفا ينفتح من غير ان تصيبه الرصاصة .. ثم يكون ذا لون أحمر .. حتى يرسم بقعة دم كاذبة على صدر الرئيس (المفدى) !

الواقعة الثانية اعلن فى البداية ان المسدس الذى استعمل فى الحادث عثر عليه ، ثم أعلن عن قصة لطيفة ، ان حارس بيته (بواب) عثر على المسدس ، فحمله من الاسكندرية الى القاهرة ، ولما كان لا يملك اجرة القطار فقد أخذ الطريق كله سيرا على الأقدام حتى اذا قدم على الرئيس قدمه له فكافأه الرئيس بمبلغ مالى كبير .

سبحان الله .. ما اجرأ الحارس !

يحمل مسدسا .. طبعا غير مرخص ، والعقوبة لحمل السلاح

الاشغال الشاقة ، ثم لا يقدمه لأقرب نقطة شرطة ٠٠ بل يسير ـ مسافة ثلاثمائة كيلو متر ، لأنه لا يجد أجرة القطار ، (ومعها لا يستطيع أن يقترضها) ، وهناك في القاهرة يقتحم شوارعها ونقطها وبوليسها ومباحثها ، ويتوجه الى مقر رئيس الدولة ، فيقتحم عليه مقره ليقدم له المسدس الذى استخدم فى الحادث ٠٠٠ !!

ألا ما أجرأ الحارس !

وعرفت فيما بعد ٠٠ نقلا عن رئيس الدولة الشرعى (اللواء محمد نجيب) فيما كتب من مذكرات ونقلا عن بعض الرسميين فيما صرحوا أو كتبوا ، أن ما وقع كان مرسوما ، كان مقصودا لاعطاء التبرير للاجراء القمعى الفظيع الذى أعقب ذلك الا وهو قتل خيرة الشباب اما تعذيبا او على حبال المشانق ، وكان من بينهم القاضى الشهيد ٠٠ عبد القادر عودة رحمه الله ٠

وأما عن المحنة الثانية :

فقد شهدت فيها الكثير ـ لكن يكفى ان اضرب بعض الأمثلة ٠

ـ طلب منى شخصيا أن أعترف على بعض الشخصيات الهامة لادخالها فى القضية ليكون ثمن ذلك خروجى من السجن وأبيت ٠

ـ طلب من واحد فى سن السبعين ان يعترف ، فلما ابى اتوا بابنتيه العذراوتين لتخلع ملابسهما أمامه ٠٠٠

ـ طلب من شيخ آخر الاعتراف فلما ابى مع التعذيب أتى بابن

له فى سن دون سن التمييز ليعذب أمام والده ليجبر على الاعتراف ...

* * *

٢ ـ من الوثائق : كيف يصنعون ؟

ـ فى محنة ١٩٤٨ / ١٩٤٩ ـ ثبت ان سفراء الدول الثلاثة (أمريكا ـ انجلترا ـ فرنسا) طلبوا الى رئيس الوزراء حل الجماعة ، واستجاب رئيس الوزراء (٤٢) .

ـ فى محنة ١٩٥٤ ثبت من مصادر عديدة كيف خطط لهذه المحنة (٤٣) .

ـ فى محنة ١٩٦٥ ثبت من وثيقة لم يستطع أحد تكذيبها رغم اعلانها فى أكثر من مؤلف (٤٤) .. كيف خطط لهذه المحنة ..

ـ على أبواب محنة عام ١٩٨١ التى اصطنعها رئيس مصر فى ذلك الحين ، ووضح ذلك لكل من عاصر الأحداث ظهرت وثيقة موجهة

---

(٤٢) قدمت تلك الوثيقة فى احدى قضايا الاخوان عام ١٩٤٩ وترتب على ذلك صدور الحكم بالبراءة على المتهمين فى القضية .

(٤٣) راجع مذكرات محمد نجيب ، والصامتون يتكلمون ، وما نشر من مذكرات أخرى عن تلك الفترة .

(٤٤) الوثيقة تضمنها حكم قضائى وصدرت فى كتاب فى الزنزانة ، دعاة لا بغاة ، رسالة عن الاخوان المسلمين طلبتها الحكومة الألمانية ونشرت باللغة الألمانية .

من احد المسئولين الأمريكيين المقيمين في مصر إلى المسئولين في الأجهزة السرية العاملة يشرح كيف تعامل الحركة الاسلامية ، وأحسن الطرق لمواجهتها (٤٥) .

وبعد ، فلقد يتشكك البعض في صدق هذه الوثائق ، وقد يشكك فيها آخرون ، ولقد سئلت يوما من نائب رئيس جمهورية مصر السابق ، من أين عثرت على الوثيقة التي نشرتها في كتابك ؟

فأجبته : لماذا السؤال ؟ طبعا تريد أن تستوثق من صدقها ؟

قال : نعم ..

فقلت له : اذا صدق الواقع شيئا .. هل يحتاج بعد ذلك الى توثيق ؟ .

قال : لا .

فسألته : هل صدق الواقع ما جاء بالوثيقة التي تسأل عنها ؟

قال : نعم ..

قلت : هذا يكفى ! .

من هنا قيل .. إن الواقع ان صدق شيئا صار من قبيل الحقائق المسلمة !

* * *

٣ – مسئولية القادة والجنود – المتآمرين :

لعل السؤال الوارد بعد ذلك .. هل القادة « السياسيون » هم المسئولون ؟ أم أن الجنود « الصغار » الذين مارسوا التعذيب هم المسئولون ؟

---

(٤٥) نشرت في كتاب دعاة لا بغاة .

وفي هذا المجال اجتهادات كثيرة ·

لقد قضت احكام قضائية بمسئولية « العهد » الذى وقع فيه تلك المآتم(٤٦) ·· واكدتها احكام وتوالت قضائية أخرى(٤٧) !

وصرحت كتابات « صادقة » بأن رئيس الدولة ونائبه كانا يحضران أثناء التعذيب (٤٨) ، وصدقت الوثائق المنشورة علم القيادة السياسية وتآمرها ·

وحاول البعض – جهدا – تبرئة تلك القيادة ، واعتبار ما وقع من مآثم « سلبيات » صدرت عن الجنود ، أو تصرفات فردية منهم(٤٩) ·

ونحاول فيما يلى أن نقول كلمة :

● مسئولية القادة :

لا نحسب أن عالما اسلاميا يمكن أن يقرر بغير مسئولية القادة « السياسيين » عما وقع من محن ومآثم ·

– استنادا الى ما ثبت من مشاركتهم بالتخطيط ، وبالأوامر ، وبالسكوت ·

---

(٤٦) راجع الحكم المنشور فى كتاب فى الزنزانة ·
(٤٧) قضية كمشيش ، والقرار القضائى المنشور فى كتاب عندما يحكم الطغاة « الطبعة الثانية » ·
(٤٨) كتاب أيام من حياتى للمجاهدة زينب الغزالى ·
(٤٩) كتابات من أسموا أنفسهم ناصريين ·

ـ استنادا الى قول الله سبحانه وتعالى : « **والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم** » (٥٠) ٠

ـ استنادا الى قول رسول الله ﷺ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ٠

* * *

● **مسئولية الجنود :**

اما مسئوليتهم فثابتة :

ـ بممارستهم الأعمال المادية المنافية لشرع الله والتى وقعت على اجساد المؤمنين والمؤمنات وعلى حرماتهم وأعراضهم ٠

ـ استنادا الى قول الله سبحانه : « **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا** » (٥١)٠

ـ استنادا الى حديث رسول الله ﷺ : « صنفان من اهل النار لم ارهما ٠٠٠ ورجال يمسكون بسياط كاذناب البقر يضربون بها الناس » ٠

ـ استنادا الى قوله تعالى : « **ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** » (٥٢) فرغم طغيان فرعون المصرح به فى القرآن لم يعف ذلك الجنود من المسئولية .

ـ واخيرا ، استنادا الى أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية ، فما كان للجنود أن يطيعوا قادتهم فيما طلب منهم ـ وهو معصية ظاهرة ٠

* * *

---

(٥٠) النور : ١١ ٠ (٥١) الأحزاب : ٥٨ ٠

(٥٢) القصص : ٨

(ج) ردود فعل المحن

ظاهر الأمر انها تبطىء مسيرة الدعوة ، أن لم يقل بعض المتشائمين تؤخرها الى الوراء ، والظاهر كذلك انها تنفض من حول الدعوة بعض الأنصار ، ان لم يقل كذلك بعض المتشائمين الكثير من الأنصار .

ذاك هو الظاهر ، لكن حقيقة الأمر غير ذلك .

ـ فالمحن أولا تمحيص للمؤمنين فيزدادون ايمانا فوق ايمانهم « وما زادهم الا ايمانا وتسليما » (٥٣) .

« فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم » (٥٤) .

« وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين » (٥٥) .

ـ والمحن ثانيا : تخفيف عن كاهل الدعوة .

ففى ركب الدعوة صنفان : صنف يحملون الدعوة ، وهؤلاء يزدادون بالمحن ايمانا وصنف تحملهم الدعوة ، وهؤلاء عبء عليها ، والمحن تسقطهم فيتخفف كاهلها من حملهم ! ومن ثم فلا نأسى على أمثال هؤلاء وان كنا نشفق عليهم !

ـ والمحن ثالثا : تعميق للدعوة ونشر لها .

تعميق لها فى نفوس اصحابها ، ونشر لها بين غيرهم ، او هى تحدث امتدادا راسيا وأفقيا للدعوة

---

(٥٣) الأحزاب : ٢٢ — (٥٤) آل عمران : ١٧٤

(٥٥) آل عمران : ١٤١

وفى مكان آخر (٥٦) تحدثنا عن ثلاثة قوانين تعمل لصالح الدعوة رغم تآمر المتآمرين عليها :

أولها : قانون البقاء للأصلح ، ودليله من القرآن : « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » (٥٧) .

وقوله : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » (٥٨) .

ثانيها : قانون رد الفعل ، ودليله أولا من القانون الطبيعى : لكل فعل رد فعل مساو له فى القوة ومضاد له فى الاتجاه ، ودليله الثانى : الواقع المؤكد لهذا القانون والمعدل له على نحو اشرنا اليه فى غير هذا المكان .

ثالثها : قانون الاستخلاف ودليله من القرآن « .. أن الارض يرثها عبادى الصالحون » (٥٩) .

وقوله : « ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم » (٦٠) .

بهذا ينتهى حديث المواثق ، وقد كان يمكن أن يطول لو تطرقنا

---

(٥٦) تفصيل ذلك فى الاتجاهات الفكرية المعاصرة ـ باب الاتجاهات الاسلامية المعاصرة

(٥٧) الرعد : ١٧ (٥٨) الأنبياء : ١٨

(٥٩) الأنبياء : ١٠٥ (٦٠) النور : ٥٥

الى تحييد العوائق الخارجية من اتجاهات سياسية وفكرية ودعوية مضادة .

.. لكننا اكتفينا بأمرين : أمر الداخل .. لأنه أخطر ما تؤتى منه الدعوات، وقد بينا أنه ما يصيب الدعاة في أنفسهم، أو في صفوفهم، وأمر الخارج قد اقتصرنا فيه على ما يتعرضون له من « دعاة جهنم » ، باعتبار أن دورهم اليوم أخطر ، وإن كان رب العالمين يخيب كيدهم ، ويرد الى صدورهم مكرهم : « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » (٦١) .

* * *

---

(٦١) الأنفال : ٣٠

٣ ــ دعوة الله أمانة ... من يقوم بها ..

● ثقل الأمانة :

الأمانة ثقيلة فى حد ذاتها .. حملها ، وادائها ، والوفاء بها ..

وهى لن تعلقت بدين الله اثقل !

ولذا فان الأرض والسماء قد تنوء بها ، وتابى أن تحملها ..

وهكذا مضى التعبير القرآنى الرائع « **انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فابين أنه يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا** » (١) .

لكن لم حملها الانسان .. وقد أبتها الأرضين والسموات ؟

قد يكون عن ظلم الانسان .

وقد يكون عن جهل منه .

لكن الذى يتبادر الينا ، أن الله خالق الكون وخالق الانسان ، أعده ــ مع ضعفه وعجزه وظلمه وجهله ــ أعده لامكان حمل الأمانة .

فهو سبحانه فضله على جميع الكائنات : « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » (٢)

---

(١) الأحزاب : ٧٢ .

(٢) الاسراء : ٧٠

وهو سبحانه أودعه قلبا .. هو موضع عزيز لأمر أعز .

وفى الحديث القدسى « ما وسعتنى أرضى ولا سمائى ، ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن » .

هو موضع حب الله ، وهو أول ما يدخل به المؤمن الجنة .

وهو موضع حب الرسول ﷺ وهو مع الأول يدخل به الجنة .

وهو موضع حب المؤمنين ، وبه يجلس يوم القيامة على منابر من نور يغبطه عليها النبيون والشهداء .

وهو كذلك موضع كلام الله — حفظا ووعيا : « **نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين** » (٣) .

وهو أخيرا ، ان صلح صلح الجسد كله : « ألا ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب » .

ثم هو سبحانه أودعه عقلا تميز به على الحيوانات .

فهو به يفكر ويتدبر . وهو بغير استعماله يعود الى حيوانيته ويكون أصم أعمى أبكم .

« **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل** » (٤) .

« **صم بكم عمى فهم لا يعقلون** » (٥) .

---

(٣) الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ .   (٤) الأعراف : ١٧٩ .

(٥) البقرة : ١٧١ .

ويقول العقل والقلب ، فانه سرا أودعه الله في الانسان ، قد يرتفع به الى مصاف الملائكة ، وقد يهبط به الى ما دون الحيوان ذلك هو الروح .. أين محلها ، ما كنهها .. ؟ لا يعلمه الا الله « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (٦) ؟

صحيح أن في كل كائن حي روحا .. لكن روح الانسان تختلف .. هذا ما يظهر من آثارها ...

ومن ثم فعلى مدى سمو الانسان بروحه ، وتزكيته لها ... يرتفع بها أو ترتفع به ، بغير كبير خوض فيما لا ينبني عليه عمل (٧) .

ذاك بعض تفسيرنا .

ولذا كان من الانسان الانبياء .. ولم يكونوا من الملائكة ، ولا من الجن .

وكان من الانسان من يلي الأنبياء درجة وصدقا :

الصديقون

والشهداء

والصالحون

---

(٦) الاسراء : ٨٥ .

(٧) يقول البعض : ان الروح هي النفس ، ويقول آخرون هي شيء غير النفس .
ونترك هذا الأمر الذي لم يشأ الله سبحانه ـ لحكمة ـ ان يعرفنا اياه ، مكتفين بعلم ما اذن لنا به الله .

ولا يخلو وجه الأرض من قائم لله بحجة ، ولاتزال طائفة ظاهرة بالحق مضحية فى سبيله ، منافحة لاظهاره على العالمين !

من اجل ذلك استحق الانسان ٠٠ ان يكون « محلا » لحمل الأمانة ٠

لكن ما شروط من يحمل الأمانة ٠٠؟

هل من نماذج لمن حملوا الأمانة ٠٠ ؟

من تتحقق فيهم هذه المواصفات ٠٠ ؟

هل هم موظفون رسميون ؟

هل هى هيئات رسمية ؟

هل هم شىء وراء ذلك ؟

ذلك ما نحاوله بمشيئة الله ٠ فيما يلى ذلك من سطور ٠٠ والله المستعان ٠

اولا : شروط من يحمل الأمانة
أو اوصاف الدعاة

قديما كانوا يبحثون ذلك تحت مباحث « الحسبة » أو « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » ٠

وحديثا صارت كتابات عن الدعوة والدعاة

ونختار من بين هذا وذاك ثلاث صفات :

أولا ـ قوة الايمان :

لأن الأمانة ثقيلة ، وهي تحتاج الى القوى الذى يحملها ..

والقوة . بالدرجة الأولى ـ قوة الايمان ..

والحديث عن الايمان يطول (٨)

لكن يكفى فى هذا السبيل قول رسول الله ﷺ : « المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير » .

وعندما سأل أبو ذر الولاية قال له رسول الله ﷺ : « انك لضعيف ، وانها لأمانة » ... الحديث .

فكان القوة مع الأمانة تتناسب تناسبا طرديا ، وكان الضعف مع الأمانة يتناسب تناسبا عكسيا .. ومن ثم لم يول رسول الله ﷺ أبا ذر لأنه ضعيف ، ولأنها أمانة .. هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى ، فانه قد يترتب ـ وكثيرا ما يترتب ـ على الدعوة الى الله محن تصيب الداعية وتصيب الدعاة .. ومن ثم كانت قوة العقيدة مما يواجه به الداعية تلك المحن ، وكان ضعف العقيدة مدعاة للتخاذل والتساقط فى مواجهة الأحداث .

ثانيا ـ قوة الخلق :

وبالاخص علم ، وحلم ، وصبر

---

(٨) الايمان للحق ـ للمؤلف

خير ما يتزود به الداعية بعد العقيدة حسن الخلق : -

ولئن كان حسن الخلق يحبب الناس فى المسلم العادى ، فأولى بذلك الداعية الى الله سبحانه ، ومع حسن الخلق بصفة عامة فان جانبا من هذه الأخلاق نص عليه الباحثون عند حديثهم عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •

فقالوا : يلزم العلم قبل الانكار ، والحلم عند الانكار ، والصبر بعد الانكار • •

ثالثا - ثقافة الداعية (٩) :

يلزم أولا له ثقافة بدينه ، ولعل ذلك المقصود بشرط العلم وقد سبق ، ويلزم له ثانيا ثقافة عامة : تاريخية ، ادبية ، لغوية ، واقعية وفى الاخيرة نشير الى ضرورة المام الداعية بظروف المكان والزمان الذى يتحدث فيه أو يدعو الى الله فى دائرته •

ونشير الى فشل الكثير من الدعاة الذين لم يلموا بمثل تلك الظروف فأفسدوا على أنفسهم الجو الذى يدعون فيه ، وقد كان فى سعة الاسلام سعة لهم مما يضيقون به ويضيقون به على الناس !

* * *

---

(٩) مؤلف قيم للدكتور يوسف القرضاوى كان بحثا مقدما فى المؤتمر الأول للدعوة والدعاة عام ١٣٩٧هـ وراجع كذلك : عبد النعيم حسنين : الدعوة الى الله على بصيرة ص ٧٣ - ٩٠ •

ثانيا : نماذج من الدعاة

تحدثنا في مكان آخر عن نماذج من الدعاة (١٠) ·
ولا نود أن نكرر الأمثال ·
ونكتفي بامثلة ثلاثة :
الأول : من الانبياء ، الثاني : من السلف ، الثالث : من الحاضر ·

المثل الاول – نوح عليه السلام :

وقد اخترناه ـ هذه المرة ـ لاعتبارين
أولهما : انه أول أولى العزم من الأنبياء ·
ثانيهما : انه مكث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعو ·· فما آمن له من قومه الا قليل ، ونقتطف من سيرته بعض النقاط :

١ ـ دعا قومه « فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم · قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين · قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون · أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون » (١١) ·

---

(١٠) في كتابنا « دعاة لابغاة » ـ تحت الطبع ـ طبعة ثامنة ·
(١١) الأعراف : ٥٩ ـ ٦٣

٢ ـ فصلت سورة « هود » جدال قومه معه :

« فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين • قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون • ويا قوم لا اسألكم عليه مالا ، ان اجرى الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا ، انهم ملاقوا ربهم ولكنى اراكم قوما تجهلون • ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم ، افلا تذكرون • ولا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك ولا اقول للذين تزدرى اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ، الله اعلم بما فى انفسهم ، انى اذن لمن الظالمين • قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين • قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين • ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم ، هو ربكم واليه ترجعون ، ام يقولون افتراه ، قل ان افتريته فعلى اجرامى وانا برىء مما تجرمون » (١٢) •

٣ ـ « واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون • واصنع الفلك باعيننا ووحينا

---

(١٢) هود : ٢٧ ـ ٣٥ •

ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ، انهم مغرقون • ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ، قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون • فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم • حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن ، وما آمن معه الا قليل »(١٣) •

٤ ـ « وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها ، ان ربى لغفور رحيم • وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين • قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين • وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين »(١٤) •

٥ ـ « ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وانت أحكم الحاكمين • قال يا نوح انه ليس من اهلك ، انه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم ، انى أعظك ان تكون من الجاهلين • قال رب انى اعوذ بك ان اسألك ما ليس لى به علم ، والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين • قيل يا نوح

---

(١٣) هود : ٣٦ ـ ٤٠ • (١٤) هود : ٤١ ـ ٤٤ •

اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك ، وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم » (١٥) .

ـ وردت سورة كاملة باسم نوح (فى جزء تبارك ـ ٢٨ آية) حكت كيف دعاهم ..

ثم كيف وضعوا اصابعهم فى آذانهم صدا عن الدعوة

ثم كيف دعا الله عليهم « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا » (١٦) .

وقد خالف فى ذلك خاتم المرسلين اذ دعا لقومه « رب اهد قومى فانهم لا يعلمون » .

ـ ورد ذكر نوح مع انبياء آخرين ، وفى أماكن اخرى مختصرة(١٧) .

* * *

---

(١٥) هود : ٤٥ ـ ٤٨ .   (١٦) نوح : ٢٦ .

(١٧) ورد الحديث عن نوح فى سورة الشعراء فى ١٢ آية (١٠٦ ـ ١١٨) من الآيات القصار ـ فى يونس (٧١ ـ ٧٣) فى ثلاث آيات طوال ـ والصافات من (٧٥ ـ ٨١) فى سبع آيات قصار ـ الانبياء (٧٦ ، ٧٧) آيتان ـ المؤمنون (٢٣ ـ ٢٩) ثمانى آيات .

● **والذى نلحظه من العرض السابق :**

(أ) أن نوحا جادل فأحسن الجدال ، حتى افحم قومه فقالوا له « **ائتنا بما تعدنا** » ... (ولضح من ١ ، ٢) .

(ب) أن نوحا صبر على سخرية قومه منه وهو يصنع السفينة (رقم ٣) .

(جـ) أنه ابتلى فى ابنه أن يكون مع الكافرين ، وحاول استنقاذه من المصير الأليم المحتوم ، لكنه أبى فكان من المغرقين ، ويحشر المرء مع من أحب ! (رقم ٤) .

(د) أنه جادل عن ابنه ، فلما تبين الخطأ عاد واستغفر (رقم ٥) .

(هـ) أن نوحا صبر على الدعوة فى قومه قرابة عشرة قرون « **ألف سنة الا خمسين عاما** » (١٨) وأنه لم يتضايق من أنه لم يؤمن من قومه الا القليل .

وان انتقام الله حل بقومه فأغرقوا جميعا الا نوحا والذين آمنوا معه « **وما آمن معه الا قليل** » (١٩) .

* * *

المثل الثانى – ابو حازم – من التابعين :

وكنا نود ان نحكى تاريخه ، لولا انه لم يتح لنا الا جزء

---

(١٨) العنكبوت : ١٤ . (١٩) هود : ٤٠ .

يسير ، هو فى مجال ضرب الأمثال كاف ، الا وهو حواره مع الخليفة سليمان بن عبد الملك .

روى الدارمى عن الضحاك بن موسى قال : مر سليمان بن عبد الملك بالمدينة وهو يريد مكة فأقام بها أياما ، فقال : هل بالمدينة أحد أدرك أحدا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا له : ابو حازم ، فارسل اليه فلما دخل عليه قال له : يا أبا حازم ، ما هذا الجفاء ؟

قال ابو حازم : وأى جفاء رأيت منى ؟

قال : اتانى وجوه أهل المدينة ولم تأتنى !

قال : يا امير المؤمنين ، أعيذك بالله أن تقول مالم يكن ، ما عرفتنى قبل هذا ولا أنا رأيتك !

قال : — فالتفت الى محمد بن شهاب الزهرى — فقال : أصاب الشيخ وأخطأت .

قال سليمان : يا ابا حازم . مالنا نكره الموت ؟ !

قال : لأنكم أخربتم الآخرة وعمرتم الدنيا فكرهتم أن تنتقلوا من العمران الى الخراب .

قال : اصبت يا ابا حازم ، فكيف القدوم غدا على الله تعالى ؟

قال : اما المحسن فكالغائب يقدم على أهله ، وأما المسىء فكالآبق يقدم على مولاه .

فبكى سليمان وقال : ليت شعرى ! ما لنا عند الله ؟

قال : اعرض عملك على كتاب الله .

قال : واى مكان اجده ؟

قال : « **ان الابرار لفى نعيم ۰ وان الفجار لفى جحيم** » (٢٠) ۰

قال سليمان : فأين رحمة الله يا ابا حازم ؟

قال ابو حازم : « **رحمة الله قريب من المحسنين** » (٢١) ۰

۰۰۰۰۰ ثم ساله : فاى القول اعدل ؟

قال : قول الحق عند من تخافه او ترجوه ۰

قال : فاى المؤمنين أكيس ؟

قال : رجل عمل بطاعة الله ودل الناس عليها ۰

قال : فأى المؤمنين أحمق ؟

قال : رجل انحط فى هوى أخيه وهو ظالم ، فباع آخرته بدنيا غيره !

قال له سليمان : أصبت ، فما تقول فيما نحن فيه ؟

قال : يا امير المؤمنين ، او تعفينى ؟

قال سليمان : لا ، ولكن نصيحة تلقيها الى ۰

قال : يا امير المؤمنين ، أن آباءك قهروا الناس بالسيف ، وأخذوا هذا الملك عنوة على غير مشورة من المسلمين ولا رضاهم ، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة ، فقد ارتحلوا عنها ، فلو شعرت ما قالوه وما قيل عنهم (٢٢) ۰

* * *

---

(٢٠) الانفطار : ١٣ ، ١٤ ۰ (٢١) الأعراف : ٥٦ ۰

(٢٢) الامام القرطبى ـ الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٩ ۰

المثل الثالث – مثل حديث :

عرفته فى مكان تتعرى فيه الأنفس قبل الأجساد ٠٠ فاذا هى مائلة بفجورها وتقواها ، شاخصة بشرها وخيرها ٠٠٠ وكم من الناس زعموا لأنفسهم صفات وصفات ، فلما سقطوا فى هذه الأماكن لذا حقيقتهم بادية كالشمس فى رائعة النهار ٠

وقبل ان اتحدث عنه ٠٠٠

اشير الى مثل مقابل ، رجل آخر من رجال السياسة ، كان ممن يدعون البطولة والزعامة ٠٠ وصفات أخرى ، رأيته فى نفس المكان فاذا البطولة خاوية والزعامة مولية ٠٠ واذا به انسان ضعيف كل الضعف بل حقير كل الحقارة ٠٠ يقول لسجانيه : صحيح كنا قبل ذلك كذا وكذا ٠٠ ولكنى منذ سجنت « وأنا ماشى زى الكلب » ٠

اما ذاك المثل ٠٠ فقد كان يتعالى حتى عن الحاجات ٠٠ بل وعن الضرورات (٢٢) ٠

يبقى فى السجن عشرين عاما ٠٠٠

ما شكا يوما ولحدا ولا تأوه ٠

---

(٢٢) اذكر انه لم يكن يشرب الشاى ، ولا يطهو الطعام فى زنزانته تورعه فى أخذ الكيروسين من مطبخ السجن وكان يرفض أن يلبس لباسا غير لباس السجن حتى فى الأوقات التى سمحوا فيها به كذلك كان يرفض ارتداء اى لباس داخلى (فانلة او بنطلون) لأنهم مرة أو مرات جمعوها فرقوها تكديرا للمسجونين المسلمين، فلم يشأ أن يترك لهم شيئا يكدرونه به ٠

حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ، فسعى المجرمون سعيهم الخبيث الحثيث لدى زوجته حتى طلبت الطلاق ، وطلقت ، وماتت ابنته منها ٠٠ وهو صابر محتسب لا يشكو ولا يضجر ، علمت بذلك كاتبة اسلامية شهيرة وكان عمرها حول العشرين ، فأرسلت اليه تخطبه وكان شقيقها زميلا له فى السجن ٠

وانتظرت الكاتبة المسلمة من سن الخامس والعشرين إلى سن الخامس والأربعين ، وبعد عشرين عاما من الصمود خرج وتزوج ٠٠٠ ولم يلبث فى الحرية غير سنوات تعد على اليد الواحدة ثم اختطف من زوجته التى انتظرته عشرين عاما ، وغيب فى السجن شهرا واحدا تعرض فيه لتعذيب شديد ، وأفضى الى ربه ، وسلم جثمانه لزوجه وأهله ، وقد حلقت نصف ذقنه ، ووجدت كدمات بذراعه ورأسه واجزاء من جسمه ٠٠

ومع ذلك لم يستحوا ٠

قالوا انه انتحر !

وعلم الله انهم لكاذبون !

وقد لقيت واحدا ممن قيل انهم عذبوه ، وواجهته ، وقلت له : انت متهم مع وزير الداخلية السابق ، ووزيرك الحالى بقتل الشهيد : محمد كمال السنانيرى ٠٠ وحاول أن ينفى ٠٠ ولكن هيهات ٠

ان القصاص الحق قادم ٠

***

ثالثا : من يقوم بالدعوة ؟

ظلت الدعوة الى الله فترة من الزمان حكرا على من يحملون مؤهلات معينة أو ينتسبون الى جهات محددة ·

وكان هذا وذاك يعنى أن الدعوة فى الدائرة الرسمية أو (النظامية) ·

وكان يشجع على ذلك ، ويسكت الآخرين ، أن هؤلاء كانوا — فى الاغلب الأعم — يؤدون واجبهم خير الأداء ، بل سمعنا منهم ، وسمعنا عنهم ، ما يجعلهم فى مقام كريم لا تلوكه الألسن ، ولا تنال منه التقولات ···

كانوا نماذج فى غنى النفس ، وشجاعة الحق ، وحسن النهوض بالواجب !

كان منهم من يرفض عطايا الملوك والأمراء ·

وكان منهم من يقول لهم كلمة الحق لا يخشى فى الله لومة لائم ·

وكان منهم من يرفض أن يغير ملابسه لغيرها احتفاء بقدوم ولى الأمر ، أو من يرفض الا يمد رجله قائلا : من لم يمد يده يستطيع أن يمد رجله ، أو من مد رجله لم يمد يده !

وكانت الأوضاع الاقتصادية عامة ، ثم نظام الأوقاف الذى يتقاضون منه رواتبهم ومكافآتهم يجعلهم بعيدا عن ضغط

الحاجة من ناحية ، وبعيدا عن تسلط السلطة من ناحية أخرى ..

وبرغم وجود احتلال أجنبى ... ظل هؤلاء ملاذ الأمة وموضع ثقتها ، بل واستطاعوا يوما أن يقودوا الأمة فى ثورة ضد الاحتلال الأجنبى .. بل تكرر ذلك (٢٤) .

* * *

● فماذا حدث بعد ذلك ؟

ركز الاحتلال الأجنبى الحاكم .. جراثيمه على تلك القلعة الحصينة . فاقتحمتها غزوا فكريا ، وغزوا سياسيا ، وعملت للبعثات الأجنبية عملها ، واستمالت السلطة الحاكمة شرعية وغير شرعية بعض الكبار من العلماء .

وتداعت الأقوال .. البعض منهم يدعو الى المدنية الغربية.. والبعض يصرح بقبولها بحلوها ومرها ، والبعض يهاجم جمود الأزهر ، ويشن الحملة على مناهجه وعلومه ، ويدعو الى « تطوير » الأزهر ...

ويأتى وقت تظهر فيه آثار الحملة الشرسة ... فيستنيم الجميع الا من رحم ربى ـ رضا بالأمر الواقع ، ويشارك البعض مشاركة ايجابية فى تنفيذ التخطيط الأثيم الموضوع ..

ويصحوا الناس ..

---

(٢٤) نشير الى ثورة الأزهر على الحملة الفرنسية ـ ثم ثورته على الاحتلال البريطانى وتزعمه ثورة ١٩١٩ من الناحية الفعلية .

فاذا الأوقاف التى كانت مصدر رزق العلماء ‥ قد آلت الى الدولة .

واذا الدولة تفرض سلطانها على العلماء ، وتصيرهم «موظفين» ينتظرون الدرجة والعلاوة !

ثم اذا بالمحاكم الشرعية تلغى فى تمثيلية حقيرة ، يعلن فيها عن ضبط قاضيين بتهمة مشينة !

ويلى ذلك صدور القانون بتطوير الأزهر ‥ ليصير الجامع ‥ جامعة ! او بلغة بعض الساخرين : ليدخلوا عليه تاء التأنيث ! بالثاء لا بالسين !

* * *

● **ردود الفعل :**

ومع التدهور المرسوم للمؤسسات الرسمية قلت ثقة الناس فى الدعاة الرسميين ، ومع تصاعد الدعوة الى الله من جهات شعبية ‥ لا تتقاضى أجورا ولا تنتظر درجات ، بل يتمثلون قول الأنبياء والمرسلين « **قل لا أسألكم عليه أجرا** »(٢٥) ، « **اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون** » (٢٦) .

وأحس الناس الصدق فى الدعاة الجدد ، كما أحسوا فيهم التجرد ، واحسوا من بعد التضحية حين وجدوهم يتقدمون الصفوف جهادا فى سبيل الله ، واستشهادا من أجل تحرير أرض

---

(٢٥) الأنعام : ٩٠ ، الشورى : ٢٣ .
(٢٦) يس : ٢١ .

الاسلام من اليهود ثم من الانجليز ، واستشهادا كذلك لتطبيق شرع الله ...

رأى الناس دعاة على أعواد المشانق .. أزكى نفسا واصلب عودا .. «يهدون بالحق وبه يعدلون» (٢٧) ، « صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » (٢٨) .

وتبدلت النظرة .

وتبدلت الموازين .

وصار الثقل الى الكفة الجديدة ... الى الدعاة غير المحترفين أو غير الرسميين !

واصبح واجبا على هؤلاء ان يدفعوا ثمن الثقة أو الثقل !

* * *

● ثمن الثقة والثقل :

وليس ذلك الا مزيدا من الجهد ، ومزيدا من الجهاد ، مزيداً من التضحيات بالنفس والمال والأهل والولد ، مزيدا من العطاء لدعوة الله ..

ليس بالنزر اليسير من الوقت ، ولا بالفضل القليل من الجهد فانا فى صراع مع قوى تحشد لنا كل شىء ، فما ينبغى ان نتردد فى البذل أيا كان للبذل .

* * *

---

(٢٧) الأعراف : ١٨١ .
(٢٨) الأحزاب : ٢٣ .

ليخرج القادرون عن أموالهم محتفظين بما يكفيهم ٠

وليخرج الداعون عن مشاغلهم الخاصة محتفظين بما يحفظ عليهم دينهم ٠

وليحشد الشباب قواهم ٠٠ فى صمت ، وسكينة ، وتخطيط ، وتدبير ٠

ولتتحالف القوى الربانية جميعا فى مواجهة التخطيط الأثيم ، انتصارا لدعوة الله !

وليركزوا على مرحلة التكوين ، وليرتقوا معها الى مرحلة التمكين ، « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون»(٢٩)٠

* * *

---

(٢٩) يوسف : ٢١ ٠

الفصل الثاني

الدعوة .. في مرحلة التكوين

- التكوين بعد التبليغ ..
- خصائص التكوين ..
- من يقوم على التكوين ؟
- أسس التكوين ..

١ ـ التكوين ·· لماذا ·· ؟

● مرحلة التبليغ :

اشبه بتهيئة الأرض للبذر الطيب··أو تسوية الأرض للبناء الشامخ ، فهل يغنى هذا وذاك عن بذر النبات الطيب وتعهده ، او عن اقامة البناء الشامخ والافادة منه ؟ !

ومرحلة التبليغ لازمة ·· بأمر الله «ان عليك الا البلاغ» (١) ، « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء » (٢) ·

« فذكر انما انت مذكر · لست عليهم بمسيطر » (٣) ·

وهى ـ كما يبدو مسابقة ·· بمعنى أن الداعية يبدأ بها قومه ، ثم يمضى بعد ذلك يسبر غورهم ، ويمتحن معادنهم ليرى ايها صالحة للبناء والتكوين !

وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، حين كان يدعو قومه : « قولوا لا اله الا الله تفلحوا » (٤) ·· « من يحمينى لأبلغ دعوة ربى » (٥) ···

---

(١) الشورى : ٤٨ · (٢) ابراهيم : ٤

(٣) الغاشية : ٢١ ، ٢٢ ·

(٤) ، (٥) سيرة ابن هشام وكتب السيرة ·

لكن هل وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ٠٠ ؟

* * *

● **التكوين بعد التبليغ ٠٠ ومع التبليغ :**

الواضح من سيرة رسول الله ﷺ أنه لم يقف عند حد البلاغ ـ بل راح يحاول التكوين ٠٠ يحاول البناء ٠٠ ونجح رسول الله ﷺ فى البناء والتكوين ، وكانت اللبنات التى اختارها رسول الله ﷺ لبنات مباركة ٠٠

كان بلال الذى احتمل التعذيب ، وهو لايغادر تلك الكلمات ٠٠ : أحد ٠٠ أحد ٠٠ فرد صمد ٠٠

كان أبو بكر ٠٠ الذى ضحى وقدم ، والذى شرف بالصحبة واختير لها ، والذى قال فيه عمر : سيدنا أعتق سيدنا ، والذى بلغت به الثقة فى صاحبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن قال : لئن كان قد قال فقد قال ٠٠ والله انى لأصدقه فى خبر الوحى أفلا أصدقه فيما دون ذلك ؟ !

كان عمر ٠٠ الذى نزل الوحى يصدقه أكثر من مرة ٠٠ والذى قال فى شأنه رسول الله ﷺ : « لقد اريت العذاب أدنى من هذه الشجرة والله لو نزل بنا ما نجا الا عمر » ! (يشير الى قوله تعالى **« لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم »** (٦) وذلك فى شأن افتداء أسارى بدر الذى يشير الى قوله تعالى : **« ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم »** (٧) :

---

(٦) الأنفال : ٦٨ ٠ (٧) الأنفال : ٦٧ ٠

كان سلمان الفارسى ٠٠ ذلك الرجل الذى ترك ملة قومه بعد أن ضاق بها باحثا عن الحق ، فظنه فى النصرانية فاعتنقها حتى اذا مالبث بها قليلا عرف ما فيها من ضلال فاعرض عنها ، ثم انتقل الى اليهودية يعتنقها حتى لذا كشف ما فيها من تحريف وتزوير خرج منها ، واهتدى بعد ذلك الى دين الحق ، وارتضى فى سبيله أن يباع عبدا وان يلقى ذل العبودية ٠٠٠ ثم كان بعد ذلك أحد رجالات الاسلام البارزين من غير نظر الى فارسيته ٠٠٠ لقد قال فيه رسول الله ﷺ : « سلمان منا آل البيت » ..

وقال هو فى نفسه لما رأى القوم من حوله يتفاخرون بالأنساب ٠٠ فسألوه : وابن من انت ؟ فقال : انا ابن الاسلام !

تلك بعض من سيرة رسول الله ﷺ ، وبعض من سيرة أصحابه ٠٠ فى شأن التكوين ٠

ونحن ملزمون باقتداء خطى رسول الله ﷺ **« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »** (٨) ٠

وفى مجال الدعوة ٠٠ نحن أكثر التزاما ـ باذن الله ـ اذ النصوص فى شأنها قليلة ، والسيرة فيها هى التى ترسم الطريق الواضح الناجح باذن الله ٠

لقد تلت مرحلة التكوين مرحلة التبليغ ـ كما قدمنا ـ لكن

---

(٨) الأحزاب : ٢١ ٠

مرحلة التبليغ لم تنته ٠٠ انها مستمرة مع التكوين ، بل ومستمرة بعد التمكين : « لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين»(٩)٠

* * *

● الكلمات التي تلي :

ليست دستورا للتكوين ، انها معالم ٠٠ او اضواء ٠٠ على الطريق ٠٠ اما الطريق فطويل وشاق ولا يقدر عليه الا الصابرون « وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم »(١٠) ٠

نتحدث ــ فيما اخترنا ــ عن ثلاث نقاط :

● **خصائص التكوين** : وقد استقيناها من التوجيه الربانى الكريم لرسولنا العظيم :

«واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » (١١) ٠

● **من يقوم على التكوين** :

واذا كان لنا فى رسول الله أسوة حسنة ٠

واذا كانت صفات رسول الله ﷺ نقبس منها ما استطعنا ٠

فقد اخذت من صفات رسول الله ﷺ لهذه المرحلة ما جاء فى قوله تعالى :

---

(٩) يس : ٧٠ ٠ (١٠) فصلت : ٣٥ ٠

(١١) الكهف : ٢٨ ٠

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » (١٢) •

لنؤكد لمن يقومون على أمر التكوين أنا وان كنا لا نقر التسيب ولا التفريط ، فاننا كذلك لا نقر الافراط والتنفير ، والغلظة والقسوة التى تأخذ اسماء النظام والتنظيم !

● **أما الثالثة فهى •• أسس التكوين •**

وقد اخترنا لها من كتاب الله اسسا ثلاثة وجه الله اليها نبيه عليه الصلاة والسلام :

« لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (١٣) •

وهذه ما نحاول بمشيئة الله علاجها ، وقبل ان نغادر هذه المقدمة نشير الى اهمية التكوين •

* * *

● **التكوين قبل التمكين :**

التكوين قبل التمكين امر لازم وهام ••

---

(١٢) التوبة : ١٢٨ • (١٣) آل عمران : ١٦٤ •

ذلك أنه البناء الذى يقوم عليه التمكين .. او هو الجيش الذى يواجه الباطل ليكون من بعده التمكين ..

وفى الاسلام لا يصح جيش بلا تكوين .. انه لا يفترق عن عدوه ، ان قام على غير ايمان وخلق وطاعة ! ومن ثم فانى له ان ينتصر ؟ وانى له أن تحارب معه الملائكة ؟ «بلى ، ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هـذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » (١٤) وأنى له أن يحارب معه الله أو يحارب عنه الله ؟

« فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » (١٥) .

« وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » (١٦) .

والتكوين قبل التمكين .. يجنب الدولة الناشئة التمزق والانشقاق الذى يحدث ان قامت بغير تكوين ، فينقلب البأس بينهم شديدا ، وينتقل السلاح فى أيديهم يحارب به بعضهم بعضا . أمر شهدناه فى جماعات ومنظمات قامت بغير تربية ولا تكوين ومن ثم لا نحب أن نراه فى النصف الاسلامى الكريم الذى يقرب أمل الأمة الاسلامية فى نصر قريب وفتح من الله على المؤمنين !

* * *

---

(١٤) آل عمران : ١٢٥ . (١٥) الأنفال : ١٧

(١٦) آل عمران : ١٢٦ .

٢ ـ خصائص التكـوين

● خصائص مرحلة التكوين فى ظننا ثلاثة :

صبر ·· مأخوذ من أمر الله سبحانه : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى » (١) ·

ثبات ·· مأخوذ من امر الله سبحانه : « ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا » (١) ·

عدم استخفاف ·· ماخوذ من امر الله سبحانه : « ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا » (١) ·

وتتكاتف مع هذه النصوص نصوص أخرى سوف نسوقها باذن الله ·

كما تتكاتف مع هـذه النصوص سيرة رسول الله ﷺ ، وسوف نشير اليها كذلك باذن الله ·

وقبل أن نتناولها نحب ان نشير الى انها جميعا تقوم على توفير للجـو الملائم للتكوين ·· ذلك الجو الذى لا يحتاج الى انشغال بغير البناء ، ويحتاج الى عدم النظر الا الى البناء الذى تقوم عليه ، ونحتاج قبـل هـذا كله الى الصبر ·· الصبر على البناء ، وعلى ما يند او يظهر اثناء البناء ·

---

(١) الكهف : ٢٨ ·

ونشير باذن الله الى هـذه العناصر •• بما يلزم للدعـاة ، ولأبناء الدعوة تاركين ما قد يكون من خلافات فقهية او فرعية أثناء الحديث ــ والله المستعان •

اولا : الصبر

● كلمة الصـبر (٢) :

تتردد الكلمة كثيرا فى كتاب الله ، ثم فى احاديث رسول الله ﷺ • ويوصى الناس بعضهم بعضا بها •

وتبلغ اهميتها أن تصير صـفة من اربع للفئة الناجيـة من الخسـران •

« والعصر • ان الانسان لفى خسر • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (٣) •

كذلك تبلغ أهميتها أن يقول فيها رسول الله ﷺ : « الصبر نصف الايمان » •

---

(٢) فى معنى الصبر يقول ابن قيم الجوزية ج ٢ ص ١٥٨ ــ مدارج السالكين : الصبر فى اللغة الحبس والكف ، ومنه قتل فلان صبرا ، اذا امسك وحبس.ثم قال : فالصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجـوارح عن التشويش •

(٣) سورة العصر •

ثم هى فى النهاية ترشح للجنة « **انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** »(٤) •

«وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم»(٥)•

والكلمة قصيرة سهلة لا تجاوز ثلاثة حروف ، يستطيع كل انسان ان ينطقها ، وأن يوصى بها ، لكن معاناتها أمر آخر •

* * *

● **معاناة الصبر :**

كنت اقف كثيرا عند قوله تعالى « **انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب** » لم اكن اعرف الصبر •• كانت حياتى سهلة..بين ابى وامى واخوتى •• فى تعليمى •• فى احتياجاتى••• فلم أعانى فى حياتى الأولى ما يعلم الصبر او يعود الصبر •

وعرفت الصبر فى شبابى ، ثم فى شيخوختى •

عرفته فى شبابى حين قضى الله سبحانه ـ وقضاؤه الخير ـ ان اكون مع الصادقين فى سجون الظالمين •••

وعرفت الصبر •

وتجرعت الصبر •

وتدرست على الصبر •

عرفته••مريرا••مريرا اقصى ما تكون المرارة ••• فأدركته ثم هو نصف الايمان ، ولم يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب •

وعرفت انه بغير ضجر ولا شكوى هو الصبر الجميل ، وأنى لمن

---

(٤) الزمر : ١٠ •

(٥) فصلت : ٣٥ •

يتجرع المرارة الا يضجر وألا يشكو ؟ أنى له أن يتجرع المرارة ساكتا ساكنا صابرا محتسبا ‥ انه ليس بالأمر السهل ٠

وعرفته فى شيخوختى حين عملت باحدى البلاد ، ووجدت بضاعة أهلها الصبر ، اصاب أكثرهم الجمود الا من رحم ربى ، فما يتحركون وما يتأثرون ، تقول لهم : ماتت امى ، فيقولون : ما معناه : « وايه يعنى » ، تقول لهم : أصابنى شىء فلا يظهر عليهم شىء ‥ كنت أظنها فى البداية خلقا ، فوجدته بعد ذلك طبعا ‥ ورثوه من كثرة ما عانوا ‥ فصاروا اقرب الى عدم المبالاة أو الى الجمود الا من رحم ربى ، واعرف منهم الكثير من الفضلاء ٠

ولم أجد سبيلا للتعامل مع أبناء هذا البلد أو للتعايش معهم الا الصبر ٠

وتجرعت مرة أخرى الصبر ‥‥ كئوسا كئوسا ‥‥ كئوسا مريرة ‥ يزيد فى مرارتها حين يصدر الايذاء لك من الصديق ، اما عفوا منه واما عمدا ، وهو فى الحالين لا يحس انه يسىء ، ولئن احس ما بدا عليه وما اعتذر لك ٠

وتعجب ‥ ولا تملك الا الصبر ٠

ومن هنا ادركت أن الصبر معاناة وليس مجرد كلمة أو وصية بها ، لكنى تعلمت مع ذلك ان الصبر يبدأ تخلقا ويصير خلقا ، او يبدأ تطبعا ويصير طبعا ، ومن هنا ادركت قول رسول الله ﷺ « ومن يتصبر يصبره الله » ٠

* * *

● **الصبر المطلوب :**

والصبر المطلوب نتعرف عليه من خلال انواع الصبر المختلفة ...

والصبر انواع :

ـ صبر عن المعاصى ـ وهو واجب كل مؤمن فضلا عن الدعاة .

ـ صبر على الطاعات ـ وهو كذلك واجب كل مؤمن فضلا عن الدعاة ، وان كان عليهم ان يستزيدوا من الطاعات ، لأن الايمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصى .

ـ صبر على البلاء ـ وهو وان كان واجبا على المؤمن ، الا انه بالنسبة للداعية أوجب لما يترتب على الدعوة دائما من تعرض للبلاء « **والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » فقد جاء التواصى بالصبر عقب التواصى بالحق (٦) !

بيد أن الصبر المطلوب هنا ، غير هذا .. انه صبر مع ... انه صبر معنية ، قد يعجز عنه الكثير ... فالعيش فى جماعة وان كان فيه سعادة ، وفيه عبادة .. الا انه يلزم له كثير من الصبر .

والصبر مع الجماعة انواع ..

ـ انه صبر على ما يصدر من افرادها .. فالمستويات داخل الجماعة تتفاوت ، والموجه يخاطب كلا حسب مستواه ، وفى ذلك

---

(٦) راجع فى ذلك عرضا شيقا للامام ابن القيم فى مدارج السالكين ـ ج ٣ ـ ص ١٥٨ ـ ١٧٨ .

قول الرسول ﷺ « أمرت ان اخاطب الناس على قدر عقولهم » ·

ـ وهو بعد ذلك صبر على الاستعجال ، وهى شيمة لأكثر أفراد الجماعات ·· ولم يكن رسول الله ﷺ بعيدا عن لستعجال بعض من معه · لقد جاءه خباب بن الأرت ·· ليقول له : ألا تدعو لنا ؟ الا تستنصر لنا ؟ فكان فى نهاية رده عليه « ولكنكم قوم تستعجلون » وكان فى التوجيه القرآنى « فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم »(٧) ·

ـ لنه كذلك صبر على ما تلقاه الجماعة من الآخرين ·

بدءا من الاعراض ··

وانتهاء الى الصد ··

وكلاهما يقتضى الصبر ·

ومثل الأولى ما حدث لنوح « وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا » (٨) ·

وما حدث لرسول الله ﷺ « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » (٩) · « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » (١٠) ·

وما قاله ابو لهب لرسول الله ﷺ « تبالك ·· ألهذا جمعتنا؟» ·

واما الصد فامثلته كثيرة فى تاريخ الأنبياء ·

---

(٧) الأحقاف : ٣٥ · (٨) نوح : ٧ ·

(٩) فصلت : ٢٦ · (١٠) الأنفال : ٣٥ ·

فنوح عليه السلام قالوا له : « لئن لم تنتـه يا نوح لتكونن من المرجومين » (١١) ٠

وابراهيم ألقوا به فى النار صدا عن سبيل الله ٠٠٠

وموسى ٠٠ قال فى حقه فرعون : « ذرونى أقتل موسى وليدع ربه ، انى أخاف ان يبدل دينكم أو ان يظهر فى الأرض الفساد»(١٢)

وعيسى ٠٠ بلغ بهم الأمر ان حاولوا صلبه وقتله ٠٠ ففعلوا ذلك بشبيه له « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » (١٣)

ومحمـد ٠٠ عليه السـلام ٠٠ لاقى من صـد قومه مالم يلق نبى ٠٠ وبلغ الصد حـد الايذاء البدنى لرسول الله ﷺ وصحبه الكرام ، ثم بلغ حـد اخـراجه ﷺ ، « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك او يخرجوك » (١٤) وأخيرا بلغ الصد حـد قتال رسول الله ﷺ ٠

والذى حدث فى القديم ، يتكرر فى الحديث ٠٠

ـ يتكرر من ابناء الدعـوة ٠٠ تند منهم التصرفات ٠٠ ولو أوخـذ كل على تصرفه ٠٠ لانفرط العقـد ، ومن ثم وجب الصـبر والاحتمـال ٠٠

ـ يتكرر من يتصرف بدون استئذان ٠

---

(١١) الشعراء : ١١٦ ٠ (١٢) غافر : ٢٦ ٠
(١٣) النساء : ١٥٧ ٠ (١٤) الأنفال : ٣٠ ٠

– يتكرر من يسىء ·· بتصرفه ·

– بل لقد حدث يوما ·· ان تصرف احد الجنود تصرفا اودى بجماعة ·· اذ حمل امرا من القائد بالجهاد ، فاجتهد فى الا يوصل الأمر للجنود ، وجعل اجتهاده فوق أمر قائده دون أن يراجعه ·· وبذا لم يصل الأمر الى الجنود الرابضين المنتظرين ، وسابق العدو الى الانقضاض فى تمثيلية خسيسة شهد بعد ذلك بها الشهود من أهلها !

وحدث الاعراض ··

كثيرا ·· كثيرا ·· من الاحزاب ، من الشخصيات الرسمية ، من العلماء الرسميين ·

وحدث للصد كذلك ·· وبلغ اقصى درجات الخسة أو بالأصح – أحط دركاتها » !

والحديث يطول ·· وله مواضع سقنا فيها الحديث (١٥) ·

* * *

وقبل ان نترك الحديث عن الصبر نحب أن نشير أو نؤكد على انه صبر معية ، بمعنى أنه صبر صنف خاص ·· هم « الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه » (١٦) ·

---

(١٥) راجع : فى الزنزانة ، عندما يحكم الطغاة ، للمؤلف ، ومؤلفات اخرى فى نفس الغرض ·

(١٦) الأنعام : ٥٢ ، الكهف : ٢٨ ·

وقد تضمن النص القرآني صفتين ... صفة أنهم « يدعون ربهم » .. أى يستقيمون على طريقته ، وصفة أنهم « يريدون وجهه » .. أى يتوافر فيهم الاخلاص .

وهما صفتان مميزتان للصف الاسلامى السليم .. انه يستقيم على امر ربه ، وانه كذلك يرجو وجه ربه .

وننتقل باذن الله الى الخاصة الثانية ... الثبات .

***

ثانيا : الثبات

والثبات الذى نعنيه مأخوذ من قوله تعالى : « ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا » (١٧) .

والثبات الوارد هنا فرع عن ثبات أعم ينبغى أن يتسم به الداعية الى الله سبحانه وتعالى .

● ثبات أعم :

هو الوارد فى قوله تعالى : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » (١٨) .

ففى الآية الكريمة ثلاث صفات :

ايمان ـ رجولة ـ صدق ..

---

(١٧) الكهف : ٢٨ .

(١٨) الأحزاب : ٢٣ .

ترتب عليها ٠٠ أن منهم « من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » !

ولئن نزلت الآية لمناسبة ما كان من ثبات صحابة رسول الله ﷺ ، ووفائهم نذرهم وعهدهم ٠٠٠

روى البخارى ومسلم والترمذى عن أنس قال : قال عمى أنس بن النضر – سميت به – ولم يشهد بدرا مع رسول الله ﷺ فكبر عليه فقال : أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه ، أما والله لئن أرانى الله مشهدا مع رسول الله ﷺ فيما بعد ليرين الله ما أصنع ٠ قال : فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد من العام القابل فاستقبله سعد بن مالك فقال : يا أبا عمرو أين ؟ قال : واها لريح الجنة (١٩) أجدها دون أحد ، فقاتل حتى قتل فوجد فى جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية ، فقالت عمتى الربيع بنت النضر : فما عرفت أخى الا ببنانه ، ونزلت هذه الآية « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » – (لفظ للترمذى ، وقال هذا حديث حسن صحيح) ٠

وروى البيهقى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه ، فوقف عليه ودعا له ، ثم تلا هذه الآية « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه » – الى – « تبديلا »

---

(١٩) واها : كلمة لعجاب ٠

ثم قال رسول الله ﷺ « اشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم ، والذى نفسى بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه » ..

نقول : لئن نزلت الآية فى هذه المناسبة أو تلك ، فالعبرة كما يقول الأصوليون ـ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ويبقى السبب يلقى اضواءه على التفسير ، ويعطى النموذج له دون أن يحجب عموم اللفظ عن أن يشمل غير من نزلت بسببهم !

وعلى ذلك فنحن نعتقد أن الثبات يحتاج الى عناصر ثلاثة :

ايمان ـ ورجولة ـ وصدق .

ايمان باعث على التمسك بالقيم الرفيعة والتشبث بها ، وباعث على التضحية بالنفس والنفيس .. ليبقى المبدأ الرفيع !

ورجولة محركة للنفس نحو هذا الهدف .. غير عابئة بالصغائر او بالصغار ، وانما دائمة دافعة نحو الهدف الأسمى والمبدأ الرفيع !

وصدق يحول دون التحول أو التغير أو التبديل .

ومن ثم يورث هذا كله .. الثبات .. الذى لا يتلون معه الانسان ومن رأى شعاع السيف على رقبته .. أو رأى حبل المشنقة ينتظره او رأى دنيا يصيبها أو امراة ينكحها !

* * *

● **نماذج الثبات .**

ولئن قدم السلف الصالح من امثال الأنس بن النضر ، وسعد بن عبادة ، ومصعب بن عمير ، وغيرهم نماذج للثبات ..

فلقد رأينا فى تاريخنا الاسلامى الحديث نماذج اخرى ٠٠ هى حجة على الذين يسلكون هذا الطريق ٠٠ ان الايمان يتجدد ، وان الرجولة تتجدد ، وان الصدق يتجدد ويتجسد ، وليس الأمر قاصرا على زمان مضى ٠٠٠

ان الاسلام قادر على العطاء الكريم فى كل وقت ولئن اخترت من قبل نماذج للدعاة (٢٠) فانى اختار فى هذا المقام بعض النماذج من الثبات :

ان ما حدث فى مواجهة الفئة المؤمنة للصهيونية الفاجرة ـ فى حرب فلسطين الشهيدة ـ لهو من أروع الأمثلة على الثبات فى وجه الطغيان ـ واليك بعض الأمثلة :

١ ـ على الفيومى ـ كان يطوف على اخوانه فى ابتهاج واضح قبل استشهاده ـ مذكرا اياهم بقول الرسول صلوات الله عليه وسلامه لمقاتلى « بدر » : « والله لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة » ٠٠ وشاء الله ان يرزقه الشهادة ٠

٢ ـ الشهيد حسن الدزازى ـ اصيب بجرح فى كتفه وكان فى وسعه ان يعود ٠٠ ولكنه ظل يكافح بصعوبة حتى احتمى بنتوء بارز فى مواجهة العدو واخذ يلهب خنادقه برصاص مدفعه الرشاش حتى اسقط منهم عددا كبيرا مما اضطرهم الى تركيز نيرانهم عليه

---

(٢٠) راجع : دعاة لابغاة ، وراجع ما سبق فى هذا المؤلف ٠

فاصابته عدة طلقات فى مواضع مختلفة من جسده٠٠وسقط شهيدا بعد أن متع نظره بالدم الصهيونى المراق ٠

٣ ـ وما حدث على ضفاف القناة٠٠من مقاومة واستبسال ضرب فيها الشهيدان ـ عمر شاهين ، وأحمد المنيسى وغيرهما ـ اروع الأمثلة فى الوقوف فى وجه الأعداء بالرغم من قلة الأسلحة ٠٠ والثبات حتى الاستشهاد ٠

٤ ـ وما يحدث الآن فى حرب الأفغان ـ من مقاومة الفئة المؤمنة للفئة الكافرة ـ مما لم يحن بعد حصر أسماء الشهداء ـ لهو اروع الأمثلة على الثبات ٠٠

* * *

● ثبات أخص :

بيد انه وان كان ذلك الثبات « العام » مطلوبا فاننا نحتاج هنا الى ثبات أخص٠٠ثبات لا نعدو معه عن أولئك الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ٠٠ فلا نفكر بالعدول عنهم ٠٠ او بالعدول بهم ٠٠

ـ لا نفكر بالعدول عنهم الى غيرهم ما بقيت لهم الصفتان : لستقامة على الطريق وابتغاء وجه الكريم !

ـ كما لا نفكر أن نعدل بهم غيرهم ممن لم تتوافر لهم نفس الصفات الكريمة ومن ثم كان التصريح الربانى الكريم واضحا : **« ولا تعد عيناك عنهم »** (٢١) وكانى بالتعبير القرآنى الكريم يجعل

---

(٢١) الكهف : ٢٨ ٠

للبصر شاخصا لا ينام··ينظر حركتهم وسكنتهم ، ويلحظ نومهم ويقظتهم ، ويراقب نشاطهم وفتورهم ··· وهو فى كل الأحـوال موجه لهم ، دائم الحرص عليهم ·

وننتقل باذن الله ـ الى الخاصة الثالثة والأخيرة ·

* * *

ثالثا : عدم الاستخفاف (٣٢)

خصائص التكوين واضحة : أولهـا صبر ، وثانيها ثبات ، وآخرها نهى عن الاستخفاف ·

ولئن كان الصبر مصـرفا الى الداخـل ·· يوفر التحمـل للداعية المربى ·

وكان الثبات كذلك منصـرفا الى الداخـل ·· يوفر العناية والرعاية والدأب لمن يربى ·

فان عـدم الاستخفاف منصرف الى الخـارج ·· ليدفع عن الداخل ··

ان كثيرا من اعـداء الحـق يرون شغـل الداعين الى الحـق بما يصرفهم عن البناء للحـق ، قد يشـغلوهم بقضـايا تافهة·· تصرفهم عن القضايا الهـامة ، قد يشغلوهم بشىء من الخـلاف او الاختلاف ـ يصرفهم عن قضايا المصير ، قد يشغلوهم بدنيا ·· مناصب ، اموال ، نساء ···

---

(٣٢) تناولنا هـذا الموضـوع فى كتابنـا « منـاهج الدعوة واساليبها » تحت عنوان (الاعراض عن الجاهلين) والجوهر واحد وان اختلفت طريقة العرض ·

كل ذلك وارد ٠٠وقد وقع من قبل ، لقد حاول الكفار أن يشغلوا رسول الله بقضايا فرعية ٠٠ لا ينبنى عليها عمل فسألوه عن الأهلة ٠٠ فبدلا من أن يجيبهم عن كنهها أجابهم عن اثرها وعملها فقال « **هى مواقيت للناس والحج** » (٢٣) ٠

وسألوه عن الروح ٠٠ فاجابهم بأنها « **من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا** »(٢٤) ٠

وسألوه مشككين عن القتال فى الشهر الحرام ، فأجابهم بما يدين تصرفاتهم هم « **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله** »(٢٥) ٠

* * *

● **الاستخفاف المقصود :**

قيل ان الاستخفاف هو الاستفزاز (٢٦) ٠

ونظن ـ ان الأمرين من باب واحد ، وان كنا نحسب الاستخفاف أخف من الاستفزاز ، وفى المعنيين نزل قرآن ٠

ففى الأولى نزل قول الله «**ولا يستخفنك الذين لايوقنون**»(٢٧)

والمعنى ـ عندنا والله أعلم ـ أنه لا ينبغى أن يدفعك الى ما لا ينبغى اولئك الذين لا يوقنون ٠

---

(٢٣) البقرة : ١٨٩ ٠ (٢٤) الاسراء : ٨٥ ٠

(٢٥) البقرة : ٢١٧ ٠

(٢٦) الامام القرطبى الجامع لأحكام القرآن جـ١٤ ـ ص ٤٩ ـ المجلد السابع ، مختار الصحاح ، مادة (خف) ٠

(٢٧) الروم : ٦٠ ٠

وفى الثانية قول الله : « وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ، واذن لا يلبثون خلافك الا قليلا » (٢٨) .

والمعنى فى ظنى والله أعلم أنه لا ينبغى أن يدفعوك لأن تترك لهم الأرض ، ومعها التهديد الحق والوعيد الواقع **« واذن لا يلبثون خلافك الا قليلا »** ـ أى خلافك فى الأرض ـ ولئن كانت المناسبة تعطى ظلالا على المعنى ، فقد قيل ان اليهود ، وقيل قريشاً ، قالت للنبى ﷺ « ان كنت صادقا انك نبى فالحق بالشام فان الشام أرض المحشر وارض الأنبياء » فهم رسول الله ﷺ أن يطيعهم رغبة منه فى تصديقهم واسلامهم .. فنزل قول الله **« وان كادوا ليستفزونك ... »**

وقيل انهم لم يلبثوا ـ ان كانوا قريشا ـ الا عاما وبعض عام حتى التقوا ببدر فهزموا وقتلوا واسروا ... وان كانوا يهودا فقد قتلوا فى بنى قريظة وأجلوا من بنى النضير ولم يلبثوا بعده ـ ﷺ ـ الا قليلا .

نقول لئن كانت المناسبة تلقى ظلالا على المعنى ، فان المعنى مؤكد .. أن لا ينبغى أن نستفز أو نستخف من أعدائنا ، وهو ما يسمى بلغة العصر « التوريط » او « الاستدراج » .

واستخفاف أصحاب الدعوات أو استفزازهم فى هذا الزمن كثير..ان بعضهم قد يستدرج الى غير هدفه..فينسى الهدف.

وان بعضهم قد يستدرج الى معركة فرعية تنسيه المعركة الأصلية .

وان بعضهم قد يستدرج الى معركة اصلية ولكن قبل استعداده ، وكل هذه الصور ، وغيرها ، وقع .

---

(٢٨) الاسراء : ٧٦ .

استدرجت بعض الدعوات التى بدأت اســلامية ، فتحولت الى معــان قوميــة أو وطنيــة ضيقــة او مضــادة للدعـوة الاسلامية فى الحقيقة والواقع ، و « ضل سعيهم فى الحياة الدنيـا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » (٣٩) .

واستدرج البعض الآخر ليركز فى جهاده على أمور فرعية قبل أن ينتهى من الأصول ، واعتبر نفسه فى هذا المجال قامعا للبدعة مظهرا للسنة ، ومنهج الرسول ﷺ غير ذلك ، انه لم يبدأ بالفرع قبل الأصل ، ولم يصرف جهده وجهاده الى ارساء فرع قبل أن ينتهى من الأصل .

واستدرجت دعوات الى معركة أصلية ولكن قبل الاستعداد فأقدمت ، وأعلنت الجهاد .. تحريرا لمكان ، او دفعا لنظام جائر يحكم بغير حق ...

واستدرجت الجماعة للانهاك .. أو للكشف والتعرية حتى اذا حان الوقت كانت الضربات الجسام مبررة بمـا وقـع من الأفراد متفرقين أو مجتمعين !

وادركت بعض الجماعات ذلك التخطيط فتقبلت المحن والضربات دون ان تستدرج الى جهاد قبل الأوان ، متأسية برسول الله ﷺ الذى احتمـل فى فترة الاستضـعاف ما احتمـل فى سبيل اللــه ، ومسترشدة باجتهادات الفقهاء الذين صرحوا بأن الخروج قبل الاعداد الكافى ليس مشروعا ان لم يكن موضع حرج وتأثيم !

وبعد ، فهل استطعنا ان نستوعب خصائص التكوين : صبرا وثباتا وعدم استخفاف .

وهل للدعوات المرجوة ان ترعى ذلك فتحققه فى نفسها ، ثم هل لها بعـد ذلك أن تختار لمرحـلة التكوين من يقوم عليها ... ؟

* * *

---

(٣٩) الكهف : ١٠٤ .

٣ — من يقوم على التكوين

● أهم دعـاة ؟

كان يكفى أن نقول دعاة ..

وقد قدمنا بعض أوصافهم .

لولا أن للتكوين غير التبليغ .. لا يقـدر عليـه الا من تاسى برسول الله ﷺ الذى من الله علينا فذكرنا بأوصاف فيه .. هى – فى ظننا – التى مكنته من التكوين ، وهى فى ظننا لازمة لكل من يتعرض لهذا الأمر الخطير .

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » (١) .

خمس أوصاف لازمة لكل داعية يتعرض لأمر التكوين :

١ – من أنفسنا ..

٢ – عزيز عليه عنتنا ..

٣ – حريص علينا ..

٤ – رؤوف ..

٥ – رحيم ..

* * *

---

(١) التوبة : ١٢٨ .

● **صفات خمس :**

والصفات الخمس تدور فى ظننا حول حب رسول الله ﷺ ، وقد قالها رب العالمين فى مكان آخر « **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم**»(٢) •

ونحاول بمشيئة الله أن نتعرض لهذه الصفات على التوالى والله المستعان •

١ ـ من أنفسنا :

قد يفسرها البعض بأنه من جنسهم وعلى لغتهم ، وقد فعلوا(٣)، ولقد يجدون سندا لذلك قول رسول الله ﷺ « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم » •

ولقد يفسرها بعض آخر ـ بفتح الفاء وكسر السين ـ •• من النفاسة ، ولقد تجد لها سندا مما روى عن رسول الله ﷺ وعن فاطمة « أى جاءكم رسول من أشرفكم وأفضلكم » (٤) •

ولقد يكون معنى ثالثا من أنفسكم ـ بفتح الفاء ـ أى أكثركم طاعة (٥) وهو معنى متحقق فى رسول الله ﷺ •

لكن يبقى المعنى الأول لهذا التعبير القرآنى الكريم •• من

---

(٢) الأحزاب : ٦ •
(٣) مختصر ابن كثير ـ الصابونى ـ مجلد ٢ ص ١٨٠ •
(٤) الجامع لأحكام القرآن ـ جـ ٨ ص ٣٠١ •
(٥) المرجع السابق •

لنفسكم أى جزء منا يحس احساسنا ، ويتألم لألمنا ٠٠وهو ما يتسق مع بقية الصفات الكريمة الواردة بعد ذلك ٠

فالرسول ﷺ جزء من أمته ٠٠ جسد واحد ٠٠ يتداعى لما يصيب بعضه بالسهر والحمى ، ولذا كل الناس يقولون يوم القيامة : نفسى نفسى ٠٠ والرسول ﷺ وحده يقول : أمتى أمتى !

وتؤكده نصوص أخرى سبق الاشارة الى بعضها « **النبى اولى بالمؤمنين من أنفسهم** »(٦) «مثل المؤمنين ٠٠٠ كمثل الجسد الواحد» « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ٠

وتأتى الصفات التالية بعد ذلك مؤكدة للمعنى ٠

٢ ـ عزيز عليه ما عنتم :

ونرجح ان «عزيز» (٧) وصف للرسول ﷺ ، لتساقاً مع بقية الأوصاف التالية بعد ذلك ٠

ويكون المعنى عزيز٠٠اى يعز عليه عنتكم ومشقتكم ٠ وقيل عزيز عليه دخولكم النار ، حريص على دخولكم الجنة،ولا تعارض بين المعنيين ٠

---

(٦) الأحزاب : ٦ ٠

(٧) هناك تفسير بأن « عزيز » خبر مؤخر ، كما يذهب رأى آخر الى احتمال نصبها على الحال ٠٠ راجع تفصيلا لذلك جـ ٨ ص ٣٠٢ تفسير القرطبى ٠

ان رسول الله ﷺ ، وهو من أنفسنا،وهو أولى بنا من أنفسنا، يعز عليه كل مشقة تصيبنا فى هذه الدنيا ، ومن ثم يعز عليه المشقة الأشد فى الآخرة .

وشعور رسول الله ﷺ ، ومن ثم كل قائد يتبع طريقة ـ هو شعور الوالد أو الأب بالنسبة لأبنائه ، انهم احب اليه من نفسه ؛ ولنه لحبيب الى نفسه أن تذهب فداء لهم .. فداء لأى شىء يصيبهم ، وهذا مثل نراه والحمد لله فى الصادقين .

لقد علمت قائدا مسلما .. لم ينم الليل اذ اودع أربعة من جنوده سجون الأعداء ، ولم يزل محاولا بذل الجهود حتى اصبح الصباح دون جدوى ، فاذا به محاصر لمكان وجودهم فى اربعة الاف من جنوده ، مهددا باقتحام المكان لاخراجهم اذا تلكأوا فى الافراج عنهم ولم يجدوا بدا من تنفيذ رغبة القائد فأفرجوا عن الجنود المحتجزين .

ليست هذه عاطفة « فارغة » كما قد يتبادر الى البعض ؛ لنها رباط يلف الجماعة كلها ، ويزيد الأفراد استمساكا بجماعتهم لما يروا منها ، وكما يروى المثل ـ والحكمة ضالة المؤمن ـ « الفرد للجماعة ، والجماعة للفرد » .

«Un pour Tous et Tous pour Un»

ان قائدا بغير عاطفة ، وجماعة بغير هذا الرباط .. هى جسد بغير قلب .. فأنى لها ان تدب فيها الحياة !

ان العقل وحده لا يكفى ؛ والناس المتعاملون بعقولهم يعيشون حياة جافة .

والأحزاب التى تعيش برباط العقل أو برباط المصالح تتداعى مع أول ضربة توجه اليها ، ويتهم بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا .

والجماعات التى تعيش بالعاطفة أول ما تعيش تظل - رغم المحن - تنبض بالحياة ، وفى ساعات العسرة يفتدى بعضها بعضا . ويؤثر بعضها بعضا .. أمر شهدناه بما يعيد سيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم !

والأمر يرجع - بعد الله - الى الأسرة التى تربى !

انها يعز عليها كل عنت يصيب الأعضاء !

٣ - حريص عليكم :

مكملة للسابقة ..

كما أنها يعز عليها العنت ، فانها تحرص على عكس العنت.. تحرص على الخير يصيب من معها ...

ولقد قيل : حريص على دخولكم الجنة .

وهى لعمرى أول الحرص .

ويلى ذلك الحرص على كل خير ...

كل خير دينى ؛

وكل خير دنيوى .

وفى المعنى الأول قول رسول الله ﷺ « إن الله لم يحرم حرمة

الا وقد علم أنه سيطلعها منكم مطلع ، ألا وانى آخذ بحجزكم أن تهافتوا فى النار كتهافت الفراش والذباب » (٨) •

وفى المعانى الأخرى راينا بعض من سلكوا طريق البناء يتآلفون الجنود ، ويقيمون التماسك بينهم بالحرص على كل خير يصيبهم ، بتفقد غائبهم ، وزيارة مريضهم ، والتكافل فيما بينهم (٩) •

٤ ـ رؤوف ••

٥ ـ رحيم ••

هاتان صفتان متعانقتان ، متعلقتان بالمؤمنين « **بالمؤمنين رؤوف رحيم** » (١٠) لأنه قال عن غير المؤمنين « أشداء على الكفار **رحماء بينهم** » (١١)، • « **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** »(١٢).

والرأفة أشد الرحمة •

والرحمة معروفة •

والصفات من صفات الله البر الكريم •

من بهما على رسوله ﷺ •

وأذن لنا ـ معاشر البشر ـ فيهما •

ومن ثم وجب على من يقوم على البناء والتكوين أن يكون رؤوفا رحيما •

---

(٨) أخرجه الامام أحمد •

(٩) راجع حسن البنا ـ مذكرات الدعوة والداعية •

(١٠) التوبة : ١٢٨ • (١١) الفتح : ٢٩ •

(١٢) المائدة : ٥٤ •

وعكسهما ان يكون فظا غليظ القلب ٠٠ ولو كان كذلك « **لانفضوا من حولك** » (١٣) كما جاء بذلك البيان القرآنى الحكيم٠

والرأفة والرحمة تظلان ما تقدم من الصفات « **من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم** » (١٤) ٠٠ فاذا بهما مظلة حبيبة كريمة تجمع القلوب فتؤلف بينها ، وتجمع الجنود المرابضين فاذا هم بنيان مرصوص يشد بعضه بعضا !

* * *

● **صفات يفتقدها اكثر الدعاة :**

وناسف اذ نقرر ان تلك الصفات يفتقدها أكثر الدعاة ، وان اكثرهم ــ بكل أسف ــ انشغل بمسائل النظام والتنظيم عن ان يكون بجنده رؤوفا رحيما ٠٠ عن أن يكون حريصا عليهم دافعا العنت عنهم – بل نأسف اكثر من ذلك اذ نقرر ان اكثرهم يحبب العنت لجنوده،ظنا منه أنه بذلك ينشئهم على الجندية الصحيحة، وهو بذلك ينفرهم أكثر مما يقربهم ، ويجفف عواطفهم ، ويجعلهم أقرب الى القوالب بغير قلوب ، أقرب الى الجيوش النظامية التى يفر اكثرها ان وجد الى الفرار سبيلا !

* * *

● **صفات نؤكد عليها مرة أخرى واخيرة :**

هذه الصفات الخمس التى نشير اليها ، نؤكد على وجوب تمثل الدعاة لها ، وعلى وجه اخص اولئك الذين ينشغلون بأمر البناء والتربية ، انها بالنسبة لهم اوجب والزم ــ والله اعلم٠

* * *

---

(١٣) آل عمران : ١٥٩ ٠ (١٤) التوبة : ١٢٨ ٠

٤ ـ أســس التكوين

● تقــدمة :

كان يمكن ان نحيل على كتب التربية المتخصصة ، لولا ان أغنانا الله بالقرآن ·· فوجدنا بين دفتيه ما يغنينا عن غيره ··

لاحظنا ان الله منّ على المؤمنين بمهام اداها نبينا عليه الصلاة والسلام ، رايناها اصلح ما تكون اسسا للبناء الاسلامى القوى المتين :

« لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »(١) ·

وقبلها فى سورة البقرة : « كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » (٢) ·

وقد كان ذلك ـ فى ظننا ـ جوابا على دعاء ابراهيم عليه السلام :

« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، انك انت العزيز الحكيم »(٣) ·

---

(١) آل عمران : ١٦٤ ·
(٢) البقرة : ١٥١ ·
(٣) البقرة : ١٢٩ ·

ونلحظ ـ قبل أن نمضى فى التعليق ـ أن ابراهيم عليه السلام فى دعائه قدم التعليم على التزكية ٠٠ فجاء البيان القرآنى واضعا الامور فى نصابها الصحيح ، مقدما التزكية على تعلم الكتاب والحكمة ٠٠

ولئن وضحت أن هذه مهام النبى ـ ﷺ ـ ومن ثم فينبغي أن تكون مهمه كل قائم على أمر التكوين ، فانه قد تبدو المهام المطلوبة غير واضحة ، وقد لا يحسن البعض فهم معنى « تلاوة الآيات » ، وهل هى تلاوة بالفم وماذا تفيد فى التكوين ؟

كذلك قد لا يدرك البعض معنى التزكية المطلوبة ٠٠ هل هى شيء من « التصوف » او قريبا منه ؟

وأخيرا٠٠فان « تعلم الكتاب والحكمة » قد لا يدركه الكثيرون ومن ثم وجب ايضاح هذه النقاط والله المستعان ٠

● **الأساس الأول ـ تلاوة الآيات :**

المعنى الأول المتبادر٠٠هو تلاوة آيات القران بمعنى ترتيلها ، ولا شك أن ترتيل القرآن من أسس التربية الاسلامية السليمة ، وقد جعله رب العالمين أساسا ثانيا مع قيام الليل لتربية الجماعة الأولى ، فمنذ فجر الاسلام والآيات تردد « **يا أيها المزمل ٠ قم الليل الا قليلا ٠ نصفه أو انقص منه قليلا ٠ أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا** (٤) ٠

---

(٤) المزمل : ١ ـ ٤ ٠

وترتيل القرآن ـ بهذا المعنى ـ فضلا عن أنها عبادة مطلوبة ، تورث شأن غيرها من العبادات نورا فى القلب ، وفضلا عن الثواب المترتب بكل حرف يقرأ ـ كما ورد فى الأثر « لا أقول «ألم» حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » .

نقول فضلا عن هذا وذاك ، فان للقرآن سحرا خاصا اذا رتل ترتيلا، وان له أثرا خاصا مغايرا لسائر العبادات ـ باعتباره كلام الله سبحانه وتعالى، فهو أفضل الذكر، واذا كان الذكر عامة يترتب عليه طمأنينة القلب « **الا بذكر الله تطمئن القلوب** » (٥) فان الذكر الحكيم لابد ان تكون له طمأنينة أخص أو أكبر ، او يكون له فوق الطمأنينة شيء آخر .. الله أعلم به .

ومن ثم فان التلاوة ـ بمعنى الترتيل ـ تحدث أثرها فى أولئك الذين يتلون الكتاب فى مرحلة التكوين .

بيد أننا ننبه الى أمرين فى هذا الصدد ..

(أ) أمر قد يظنه البعض شكليا .. لكن التلاوة تفقد أثرها بغيره : ألا وهو ترتيل القرآن وفقا لقواعد التجويد ـ ان للقرآن حلاوته مع التجويد لا تدانيها أى حلاوة ، وان هذه الحلاوة تتناقص حتى تتلاشى اذا افتقدت التلاوة التجويد ، ومن ثم قد يتساءل بعض الناس لم لا يجدون الحلاوة التى ننوه بها عندما يقرأون القرآن ، ويتناسون أمر الله « **ورتل القرآن ترتيلا** » (٦) .

(ب) اما الأمر الثانى فهو موضوعى .. يتعلق بفهم القرآن

---

(٥) الرعد : ٢٨ . (٦) المزمل : ٤ .

وتدبر معانيه ، وهو أمر نبه اليه منزل القرآن سبحانه ، وجعل البديل عنه انغلاق القلب ، ومن ثم فان تدبر القرآن وتفهم معانيه معناها تفتح القلب وتاثره بهذا وذلك ٠

الى هذا يشير قوله تعالى « أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها » (٧) ؟ هذا عن المعنى الأول للتلاوة ٠

أما المعنى الثانى فهو بعيد لا يتبادر الا من خلال الدراسة والبحث ونقصد به « الايمان بالقرآن ، وفهمه والعمل به » ٠٠

والى هذا المعنى يشير ابن مسعود رضى الله عنه فى قول الله تعالى « يتلونه حق تلاوته » : والذى نفسى بيده ان حق تلاوته أن يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويقرأه كما انزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه ، ولا يتاول منه شيئا على غير تأويله ، وقال الحسن البصرى : يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ، ويكلون ما اشكل عليهم الى عالمه ٠ وقال سفيان الثورى عن عبد الله بن مسعود فى قوله «يتلونه حق تلاوته» : يتبعونه حق اتباعه ٠

وقال ابو موسى الأشعرى : من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة ، وعن عمر بن الخطاب : هم الذين اذا مروا بآية رحمة سالوها من الله ، واذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها ٠ ــ وهكذا كان يفعل رسول الله ﷺ (٨) ٠

---

(٧) محمد : ٢٤ ٠

(٨) مختصر ابن كثير ــ مجلد ١ ص ١١٤ ــ والآية من سورة البقرة : ١٢١ ٠

وقد ركز ـ الامام القرطبى ـ على معنى الاتباع ، واستشهد بقول عكرمة : أما سمعت قول الله تعالى « **والقمر اذا تلاها** » (٩) اى اتبعها ؟

واضاف معنى آخر قال : قيل يقرأونه حق قراءته ، وقد تقدم شرح هذا المعنى ثم عقب : وهذا فيه بعد ، الا ان يكون المعنى يرتلون ألفاظه ، ويفهمون معانيه ، فانه بفهم المعانى يكون الاتباع لمن وفق (١٠) ٠

وبذا يكون الأساس الأول للتكوين هو :

- ترتيل القرآن ٠
- فهمه وتدبره ٠
- الايمان به ٠
- العمل به واتباع أحكامه ٠

وننتقل الى الأساس الثانى ٠٠

* * *

● **الأساس الثانى ـ التزكية :**

والتزكية واسطة العقد ، فى هذه الأسس ، وهى ـ لعمرى ـ أهم الأسس فى مجال التربية والتكوين !

والحديث فيها يطول ٠

لكن يكفى أن نسوق فيها بعض النقاط :

---

(٩) الشمس : ٢ ٠
(١٠) الامام القرطبى ـ المجلد الأول ـ جـ ٢ ص ٩٥ ، ٩٦ ٠

(أ) أن التزكية تنصب على «النفس» أو على «القلب» :

وبغض النظر عن خلاف المصطلحات ، فاننا نعنى ان التزكية تتركز على الداخل .. «ونفس وما سواها • فألهمها فجورها وتقواها • قد أفلح من زكاها • وقد خاب من دساها»(١١) : «الا ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب» •

(ب) ان التزكية بمعنييها اللغويين .. لازمة :

فهى تعنى التطهير ..

وتعنى النمو ..

ولابد فى عملية «التربية» و «التكوين» من الأمرين !

لابد من التطهير أولا .. وبمعنى آخر ..رفع الأنقاض وازالتها •

ولابد من التنمية ثانيا .. وبمعنى آخر .. البناء بعد رفع الأنقاض ، والى المعنيين تشير الآية الكريمة : «فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله» (١٢) •

وتشير كلمة التوحيد «لا اله الا الله» •

فهى تعنى نفى الألوهية عن كل ما عدا الله •

وتعنى - فى الوقت نفسه - اثبات الالوهية لله رب العالمين

او هى - كما يقول علماء المتصوفة - ولا مشاحة فى الاصطلاح - : تخلية ثم تحلية - الأولى منقوطة والثانية مهملة غير منقوطة - والله اعلم •

---

(١١) الشمس : ٧ - ٩ • (١٢) البقرة : ٢٥٦ •

وهذه وتلك تمر بمراحل ثلاث :

اولها : مرحلة العقيدة ، ولابد فيها من تخلية وتحلية « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم » (١٣) •

ثانيها : مرحلة الأخلاق ، ولابد فيها من تخلية ، وتحلية •• كذلك •

تخلية لكل الأخلاق السيئة ، والطباع الكريهة •

وتحلية ، بكل الأخلاق الحسنة ، والطباع الكريمة !

ثالثها : مرحلة التعبد والصلة بالله •• وهى تخضع للتخلية والتحلية كذلك •

تخل عن عبادة ما دون الله •• أو أى شىء مع الله « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد المرأة » •••

يلى ذلك تحل بكل ما يزيد الصلة بالله ••

والطاعات كلها تزيد الصلة بالله •••

ـ واولها ما افترضه الله علينا « ما تقرب الى عبدى بأحب مما افترضت عليه » •

ـ وثانيها : ما اذن الله به من تطوع •

واهمها فى هذا المجال أمران :

ـ قيام الليل ـ عليه اكد القرآن ، وعليه حافظ رسول الله ﷺ فى الحضر وفى السفر •

---

(١٣) البقرة : ٢٥٦ •

ـ صيام التطوع ـ لقوله عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن رب العزة « الا الصوم فهو لى وأنا أجزى به » ٠

هذا ـ فى اختصار ـ عن الأساس الثانى ٠

* * *

الأساس الثالث ـ تعليم الكتاب والحكمة :

ولقد يتبادر للناس ان هذا جزء من الأساس الأول ، والحقيقة غير ذلك :

اولا : لأنه يكون تكرارا لا مبرر له ، والقرآن يتنزه عن ذلك ٠

وثانيا : لأنه نص على تعلم أمرين :

ـ الكتاب ٠٠

ـ والحكمة ٠٠

وهما فى الواقع مع التدبر ، أمران رفيعان ٠

اما علم الكتاب ٠٠ فنحسبه لونا من العلم لا يقدر عليه كل انسان ، نفهم ذلك او نلمحه من خلال قول الله سبحانه **« قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك »** (١٤) ٠

فاذا عفريت الجن لم يقدر على ذلك ، وقدر عليه الذى عنده علم من الكتاب ، فلابد ان الله رفعه بهذا العلم درجات **« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »** (١٥) :

---

(١٤) النمل : ٤٠ ٠ (١٥) المجادلة : ١١ ٠

اما علم الكتاب .. ما هو ؟

فلقد قيل علم الاسم الأعظم ..

وقيل غير ذلك (١٦) .

ونحن لا نرفض شيئا مما قيل .

لكننا نضيف اليه علما يشهد به ظاهر اللفظ ، وهو علم القرآن .. علما يرفع صاحبه مكانا عليا .. فابن عباس كان من بين صحابة رسول الله ﷺ ممن علمه الله التأويل استجابة لدعوة رسوله عليه الصلاة والسلام ...

وهكذا فى كل قرن .. كان فى الأمة من يجدد لها دينها (١٧) .

وفى ظننا ـ والله اعلم ـ ان هذا اللون مما أوتى علم الكتاب .

كذلك يدخل مع هؤلاء صنف آخر :

اولئك الذين تلقوا علوم التقنية الحديثة فوصلوا الى أقصى غاياتهم مع ايمانهم وحسن اسلامهم ، انهم كذلك ممن اوتوا علم الكتاب ، ودليلنا فى ذلك قول الله سبحانه .. « **ألم تر أن الله انزل من السماء ماءا فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس**

---

(١٦) القرطبى مجلد ٧ ، جـ ١٣ ص ٢٠٥ وقد ذكر حول عشرة آراء .

(١٧) جاء فى معنى ذلك للقرطبى فى تفسير آية سورة النمل أنه كان رجلا عالما آتاه الله علما وفقها .

والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء ، ان الله عزيز غفـور » (١٨) فذلك الصنف ممن كرم الله فى الكتاب يكونون ممن أوتوا علم الكتاب لأنهم نفـذوا أوامر الكتاب وفهموا اشاراته العميقة ! ـ والله اعلم ٠

هذا عن تعلم الكتاب ٠

اما عن تعلم الحكمة ٠٠

فهى شىء جليل«ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيرا»(١٩)٠

وهى أصلا ـ بهذا المعنى ـ لا تكتسب ٠٠ بل الى الفطرة هى أقرب ٠

ومعنى الحكمة : العلم والحلم ، والنظر الثاقب ٠

وان قيل فيها : المعـرفة بالدين ، والفقه فى التأويل ، والفهم الذى هو سجية ونور من الله تعالى ـ قاله مالك ٠

وقيل : السنة وبيان الشرائع ٠

وقيل : الحكم للقضاء خاصة (٢٠) ٠

ونحن الى المعنى الأول اميل ٠

اما كيف يمكن ان يتعلم الانسان الحكمة وهى اقرب الى الفطرة منها الى الكسب ٠٠ ؟

فذلك بمـلازمة الحـكماء ، والأخـذ عنهم ، والاسـتفادة من تجـاربهم ٠٠٠

* * *

---

(١٨) فاطر : ٢٧ ، ٢٨ ٠ (١٩) البقرة : ٢٦٩ ٠

(٢٠) راجع القرطبى ـ مجلد ١ ـ ج ٢ ص ١٣١ ٠

فاذا اجتمع تعلم الكتاب ••• بالمعنى السابق •

وتعلم الحكمة بالمعنى السابق كذلك •

وذلك الى جوار الأساسين السابقين ••

تلاوة القرآن : بمعنى قراءته ، وفهمه ، والعمل به •

والتزكية : بمعنى التخلية ثم التحلية فى مجالات العقيدة ، والأخلاق والصلة بالله •

قامت اسس متينة ثلاث لبناء اسلامى شامخ يستعصى على الأعاصير كما يستعصى على كل تآمر خسيس باذن الله •

ويتطاول البناء ••• فاذا به باذن الله بناء التمكين بعد أن كان بناء التكوين ، وهكذا تصير الدعوة دولة والله المستعان !

* * *

الفصل الثالث

التمكين..

- « الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » (الحج : ٤١)٠
- « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » ٠٠٠ (النور : ٥٥) ٠
- « واخرى تحبونها ، نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين » (الصف : ١٣)٠

تقـــدمة ..

● مع ما تحبون ..

والآن مـع ما تحبـون « نصـر من الله وفتح قريب ، وبشـر المؤمنين » (١) .

تتوق النفس الى النصر..بعد انعاشت دهورا مع الصبر..!

ويتراءى لها النصر احلاما .. قد تطفو سعيدة .. وقد تختلط بالأعماق فتبـدو مشوبة .. وقد تمضى مـع الآمال فتغدو حينا مشـبوبة !

وفى هـذا البحث المتواضع ، لا نستطيع ان نعيش الأمـانى والأحلام ، لكنا نهبط الى ارض الواقع .. فنشهد دينا بلا دولة ، او دولة بلا دين !

ونمضى نستطلع النصوص والأحكام فنعلم ان الأمر تلزمه أمة تحمل الحق ، وسلطة تحمى الحق ، وقبل ذلك كله شريعة تقيم للحق كل الحق .. ذلك ما نعلم وما نامل !

وينبغى لهـذا الاعـداد .. والاعـداد اخـذ بأسباب النصر والتمكين .. وشروطه ومحاذيره ..

---

(١) الصف : ١٣ .

فان حقق الله الأمل .. فقامت دولة الاسلام فمن ورائها مهام ينبغى أن تقوم .

اقامة الدين .. وأوله الصلاة .

اقامة العدالة .. وأولها الزكاة .

اقامة الحق .. وأوله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ..

ثم لتكون من وراء ذلك كله رحمة للعالمين ، ثم شهيدة على الناس كل الناس !

ذلك ما نتناوله فى هذا الفصل والله المستعان .

* * *

١ ـ ارض الواقع ... دين بلا دولة ، ودولة بلا دين ! :

لا نستطيع أن نخفى رؤوسنا فى الرمال ، ولا أن نضع اصابعنا فى آذاننا ونستغشى ثيابنا .. لنحجب عن انفسنا واقعنا الأليم .

ولا نود هنا ان نكرر كلاما قلناه فى مواضع اخرى (٢) ..

لكنا نود ان نشير الى أمرين :

---

(٢) اساليب الغزو الفكرى ، حاضر العالم الاسلامى ، الاتجاهات الفكرية المعاصرة .

١ ـ عاشت هذه الامة ماضيا مجيدا رغم كل ما يقال تهوينا او توهينا .

بدأ مذ قامت دولة الاسلام الأولى بالمدينة المنورة مستجمعة كل اركان الدولة وشـروطها ، من قبـل أن يعرف القانون الدولى تلك الشروط والأركان ، بل من قبل ان يولد ما سمى بالقانون الدولى العام (٣) .

كانت ارض الدولة موجودة .

كانت الأمة لها كل خصائص الأمة الواحدة .

كانت السلطة الشرعية ممثلة فى رسول الله ﷺ .

كان النظام هو شريعة الله التى نزل بها كتاب لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وفسـرته واكملته سنة من لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى !

وامتدت الدولة على مدى نصف قرن لتشمل نصف الدنيا ، وليدين لها فى ثمانين عاما ما عجزت عنه الامبراطورية الرومانية فى ثمانمائة عام .. مع الفارق بين الحق والباطل ، بين العـدل والظلم ، بين رفاهية المجتمع وطمانينته .. وبين شقاء الآخـر واضطرابه !

وشاب الدولة ما شابها وهى بعد شباب ، وشابها ما شابها بعد ان بلغت المشيب ، ولكن يبقى :

---

(٣) يقال ان ميلاد القانون الدولي العام كان فى القرن السادس عشر الميلادى بينما سبق الاسـلام الى وضع اصوله قبل ذلك بتسعة قرون !!

(أ) أن ذلك كله كان أكثره فى القمة لا القاعدة ·

(ب) أن القاعدة بقيت ـ فى مجموعها ـ حافظة للاسلام محافظة عليه ، ظاهرة على الحق ، قائمة بالحجة ·

(جـ) أن القاعدة ـ ممثلة فى علمائها ـ وهم خير من يمثل دولة الاسلام ، كانت تنكر كل منكر يقع ، وكانت تقول كلمة الحق عند من ترجو وعند من تخاف ، وقد تكرر ذلك فى صور كريمة ، وبلغ بعض الأحيان حد رفع السيوف احقاقا للحق !

(د) انه يبقى مع هذا أن الاسلام ـ كنظام ـ ينكر كل انحراف ، بل ويدعو ابناءه الى الانكار ، بل ويعد الساكت على المنكر مشاركا فيه ·

* * *

٢ ـ أن الأمة الآن تعيش حاضرا أليما :

فعلى مستواها الشعبى ، وفى احسن حالها ·· تعيش دينا بلا دولة ·

وعلى مستواها الرسمى ، وفى واقع حالها ·· تعيش ·· دولة بلا دين !!

هل نفسر ذلك او هل نفصله ؟ !

لا أحسبنا بحاجة الى ذلك ·

لكن احسب أن اولئك الذين طعنوا على الاسلام أنه دين بلا دولة ·· لم يعيشوا الدين حتى يفهموه ، وان مصلحتهم الخاصة فضلا عن المصلحة العامة التى يودونها أن يعيشوا دولة بلا دين !

وذلك فضلا عما اصاب الأمة من تمزق ، وما مسها فى سيادتها الخارجية من تسلط القوى الكبرى ، وما مسها فى سيادتها الداخلية من تسلط من قال فيهم رسول الله ﷺ : « دعاة على ابواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها » .. !

* * *

٢ ـ ارض الأمل ٠٠ دين ودولة

● امـل :

ذاك الأمل الذى نعيش له ٠٠

ان نعيش دينا ودولة ٠٠٠

امة تحمـل الحق ٠

سلطة تحمى الحق ٠

شريعة تقيم الحق كل الحق ٠

ونلمس هذه الأركان ٠ كلا بكلمة :

(أ) امة تحمل الحق ٠٠

تلك ثمرة مرحلة التكوين ٠٠ ان تكون ثمة أمة « يهـدون بالحق وبه يعدلون » (١) ٠

أمة داعية : تحمل الخير ، فتكون بذلك داعية اليه ، وينفر منها كذلك من يقدمه للناس ٠

وتامر بالمعروف : تامر به بين افرادها ٠٠ فتقـدم الصورة المثلى للمجتمع الفاضل ، وكذلك ينفر منها من يأمر به بين الناس ٠

---

(١) الأعراف : ١٥٩ ، ١٨١ ٠

وتنهى عن المنكر : تنهى عنه كذلك بين افرادها فتقدم القدوة فى مجتمعها الأمثل ، وكذلك ينفر منها من ينهى عنه بين الناس !

وحسبنا هذه الثلاثة عن كلام طويل فصلناه فى مكان آخر (٢)) •

(ب) سلطة تحمى الحق :

وهى لا تحميه حتى تعتنقه •

ولا تحميه حتى تحمله بعد اعتناقه فهما وسلوكا !

وهى لا تصل الى ذلك الا برضا الناس واختيارهم ، ومن ثم تسقط الشرعية عن كل سلطة غاصبة ! (٣) •

(جـ) شريعة تتيم الحق كل الحق :

وقد مضى قولنا : ان الدين ، والملة والشريعة بمعنى واحد ، ومن ثم فاقامة الشريعة تعنى اقامة الدين كله لا طرفا منه او جزءا

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك » (٤)

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون » (٥) •

---

(٢) راجع المشروعية الاسلامية العليا ــ رسالة دكتوراه ــ للمؤلف ص ٢١٦ ــ ص ٢٦٤ (أركان الشرعية الاسلامية) •

(٣) المرجع السابق ص ٢٥١ •

(٤) الشورى : ١٣ •

(٥) الجاثية : ١٨ •

بيد انه لابد هنا ان نكرر ما قلناه فى أكثر من مكان (٦) ٠

(أ) انه لا يصح فى دين الله وشرعه تفرقة الدين او تفرقة الشريعة ، وان هذه التفرقة كالتفرقة بين الرسل « ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٧) ، « افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » (٨) ، « واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك » (٩) ، « ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ٠ اولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا » (١٠) ٠

(ب) أن اقامة الدين او أقامة الشريعة تعنى اقامة العقيدة ، واقامة الأخلاق ، واقامة الشعائر ، واقامة المعاملات : نظام سياسى ، نظام اقتصادى ، نظام اجتماعى ٠

وانه ليس واحدا من هذه بأولى من الأخرى ٠

وأن تعطيل حكم واحد ، كتعطيل الشريعة كلها سواء بسواء ، يستوجب غضب الله ويستجلب حرب الله ورسوله « يا ايها الذين

---

(٦) المشروعية الاسلامية العليا – مكتبة وهبة ٠
شريعة الله حاكمة – ليس بالحدود وحدها – مكتبة وهبة
أساليب الغزو الفكرى – دار الاعتصام ٠
القرآن فوق الدستور – مكتبة وهبة ٠
(٧) الشورى : ١٣ ٠ (٨) البقرة : ٨٥ ٠
(٩) المائدة : ٤٩ ٠ (١٠) النساء : ١٥٠ ، ١٥١ ٠

آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله » (١١) ..

(جـ) ان اقامة الدين ، واقامة الشريعة ، ليست واجب الفرد وحده ، ولا واجب المجتمع وحده ، انه مع ذلك واجب الدولة ، بل ان واجب الدولة ـ بما تملك من سلطة ـ يتقدم كل الواجبات ..

فهى تقيم العقيـدة .. فى منـاهج التعليم ، وفى برامـج الاعلام ، كما تلتزم بها فى سلوك قادتها وممثليها .

وهى تقيم الأخـلاق فى مناهج التعليم ، وفى برامج الاعلام ، كما تلتزم بها فى سلوك قادتها وممثليها .

وهى تقيم الشعائر كذلك فى منـاهجها وبرامجها وسـلوك قادتها وممثليها .

وهى تقيم النظـام السـياسى الاســلامى باصــوله وملامحه مستمدا من النصوص ومن السوابق التاريخية الصحيحة .

وهى تقيم النظام الاقتصـادى الاسـلامى بأصوله وملامحه مستمدا من النصـوص ومن اجتهـادات المتخصصين داخل دائرة الشريعة اخذا من مقاصدها ومن روحها العامة .

وهى تقيم النظام الاجتماعى الاسلامى باصوله وملامحه شاملا الفرد والأسرة والمجتمع مفصلا على النحو الوارد بالكتاب والسنة .

ثم هى تقيم من وراء ذلك كله حدود الله حامية لهذا البستان الجميل والجنة الفيحاء التى يستمتع داخلها الناس بثمار النظام الاسلامى الناضجة الدانية !

---

(١١) البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

والحـدود ـ وما معها من عقـوبات ، تمنع كل عدوان على العقيدة أو الأخلاق او الشعائر أو النظام بانواعه المختلفة ٠

وليست مهمة الدولة أبدا بقاصرة على اقامة الحدود ٠

ان الحدود لا تقام على فراغ ٠

والقول بذلك تجن على نظام الاسلام واساءة اليه ٠

ووجود البعض الذى ينادى بذلك أو يطبق ذلك ليس بحجة على الاسلام بل الاسلام حجة عليه !

ونكتفى بهذا القدر فى هذا المجال ٠

* * *

٣ ــ الاعــداد ·· للأمل المنشــود

● تقــدمة :

لو كانت الثمار تاتى بغير جهد ·· لأكل الناس وهم نائمون ··

لكن حــكمة الله اقتضت جعل الاسباب مقــدمة للنتائج ··

« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور »(١) ·

من هنا كان أمر الله « واعدوا » (٢) ·

والاعــداد أخــذ بالاسباب ·

والاسباب صنفان :

صنف معنوى ·· له أبلغ الأثر فى بلوغ النتيجة ·

وصنف مادى ·· ياتى بعد الصنف المعنوى فى الأهمية ·

ونعرض للصنفين على التوالى بمشيئة الله ··

* * *

● الاعداد المعنوى :

يحتل الاعــداد المعنوى – فى نظرنا ــ المكان الأول ، حتى ان النصر ليرتبط بالدرجة الأولى ــ بمدى الأخذ بهذا الاعداد ·

---

(١) الملك : ١٥ ·

(٢) الأنفال : ٦٠ ·

وفى آيتين كريمتين جمع لنا القرآن هـذا الاعداد المعنوى فى خمسة أمور :

الثبات ،

ذكر الله ،

طاعة الله ورسوله ،

عدم التنازع ،

الصبر ·

ذلك قول الله « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون · واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ، ان الله مع الصابرين » (٣) ·

ونشير الى كل امر بكلمة ·

(ا) الثبات :

الثبات – فى ظننا – وليد الصدق ، قد يمن الله به على عبد من عباده ، لكنه يحتاج الى تخلق ليكون خلقا ، والى تطبع ليكون طبعا ·

والذين صدقوا ثبتوا ·· فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ·

---

(٣) الأنفال : ٤٥ ، ٤٦ ·

والذين لم يثبتوا ‥ تولوا واستغنى عنهم ‥ والله غنى حميد ، واستبدل الله بهم قوما غيرهم ولم يضروا الله شيئا ، « ولكن كانوا انفسهم يظلمون » (٤) ·

ولقد أتيح لكاتب هذه السطور ان يعيش مع الصادقين ‥ فرأى الثبات فى عيونهم ، وفى خطوهم الهادئ الثابت ، وفى طمأنينة نفوسهم ، وفى ثقتهم بقدرة ربهم وصدق وعده : « انا عند حسن ظن عبدى بى » ·

ورأى الصنف الآخر ـ ونسأل الله العافية ـ هالعة نفوسهم، زائغة ابصارهم ، يحسبون كل صيحة عليهم ‥ يلهثون خلف السراب ‥ أى سراب ، بل ويصنعون هم السراب ثم يلهثون خلفه ‥

لفتقدوا الطمانينة ، ولفتقدوا الخطو الثابت ، وافتقدوا بالتالى الهدف الصحيح ·

وفوق ذلك فالثبات يعطى الجيش دفعة فى مواجهة عدوه ، ويعطى العدو دفعة الى الخلف ·

والاهتزاز أو لفتقاد الثبات ‥ يطمع العدو فيجرى وراء الجيش أيا كانت قوته وأيا كان سلاحه ‥

ولذا جرى للجيش ‥ فتلك بداية الهزيمة او هى الهزيمة ·

* * *

(ب) ذكر الله :

وذكر الله سياج يحيط الثبات ، فيضفى عليه من طمأنينة

---

(٤) البقرة : ٥٧ ·

القلب ما يزيده ـ باذن الله ـ رسوخا ... « الا بذكر الله تطمئن القلوب » (٥) .

فضلا عن أن ذكر الله طاعة .. وطاعة الله تستجلب رضوانه، وتستجلب نصره ، ولقد نعلم صورا من المواجهة كان فيها ذكر الله فكان معها تأييد الله سبحانه وتعالى ، وكان دفعه ودفاعه واضحا « ان الله يدافع عن الذين آمنوا » (٦) ..

وصورا اخرى .. افتقد ذكر الله .. فكان تخلى الله عن صاحب الموقف .

وفى قول الله سبحانه وتعالى « فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين » على التاويل الذى نرتضى .. أن نسيان ذكر الله كان نتيجته اللبث فى السجن مدة بلغت فى بعض الروايات ثمانى سنوات [البضع من ثلاث الى تسع] (٧) .

* * *

(ج) طاعة الله ورسوله :

واذ كان النصر من عند الله ، فطاعة الله ورسوله تستجلب نصر الله « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » (٨)

ولقد تأخر النصر مرة .. فنظر المسلمون فى انفسهم ، فوجدوا انهم تخلفوا عن سنة من السنن هى سنة السواك ، فراحوا

---

(٥) الرعد : ٢٨ . (٦) الحج : ٣٨ .

(٧) القرطبى ـ الجامع لأحكام القرآن ـ والآية من سورة يوسف : ٤٢ .

(٨) محمد : ٧ .

يستاكون ، ونظر الأعداء فاذا المسلمون فى وقت واحد يدخلون الاسواك فى أفواههم ليستاكوا ، فالقى الله الرعب فى قلوب الأعداء ، وقالوا ان المسلمين يسنون أسنانهم ليأكلونا ، وجعلها الله من أسباب النصر (٩) ٠

ولا نزال نرى حتى اليوم آثار ذلك ٠٠ ان جيوشا كثيرة العدد قوية العدد ولت هاربة فى مواقف لقاء مع الأعداء ٠٠ وكان السبب المباشر عصيانها لربها ٠٠ لقد كانوا يشجعونهم بصور الممثلات والرقصات ، وكانوا يرفهون عنهم بهذا وبغيره مما يغضب الله ، فحق عليها القول فدمرها الله تدميرا ٠ ان جنودا من جنود الله حاربوا اكثر من مرة معتصمين بقوة الله وقدرة الله ثم بطاعتهم فكانت النتيجة نصرا رغم فارق العدد وفارق العدة مع العدو ! ، ولا يتسع المجال لسرد القصص او ضرب الأمثال (١٠) ٠

* * *

(د) عدم التنازع :

على مستوى الاسر ، وعلى مستوى القبائل ، ثم على مستوى الجماعات ٠٠ شهد الواقع أن للتنازع يورث الفشل ، ومن قبل الواقع شهد رب السموات والأرض وقرر ذلك « **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** » (١١) ٠

---

(٩) تقدم الحديث عنها فى المعوقات تحت عنوان « المعصية » ٠

(١٠) أشرنا من قبل الى الصبر فى مرحلة التكوين ، وهو هنا كذلك عنصر لازم للاعداد للتمكين ٠

(١١) الأنفال : ٤٦ ٠

ولذا كان الحكيم القديم أراد أن يضرب لأولاده مثلا فجاء باثنتى عشر عودا وحزمها حزمة واحدة ، وطلب اليهم أن يحاولوا كسرها فلم يستطيعوا ، فلما فرط الحزمة دفع اليهم بأعوادها المفرقة فاستطاعوا كسرها قال : هكذا اذا اجتمعتم استعصيتم على الكسر ، ولن تفرقتم تعرضتم للكسر ·

من اجل ذلك جعل ـ سبحانه الأخوة ـ قرينة الايمان « إنما المؤمنون إخوة » (١٢) ·

وجعل الفرقة أخت الكفر « ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين »(١٣) « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم · يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » (١٤) ·

* * *

(هـ) الصبر :

آيات الصبر ، وأحاديثه ·· كثيرة ·

من جملتها ·· نعلم كم ثواب الصبر فى الآخرة ، وكم يعطى الله عليه فى الدنيا ·

ونعلم كذلك انه من أسباب النصر · ومنها نصا « واعلم ان النصر مع الصبر » ·

ومن الناحية التخطيطية « الاستراتيجية » فان النصر قد يتوقف على شىء من الصبر ، وان البعض الذى يتعجل النصر قد يضيعه بهذه العجلة · والبعض الآخر قد يضيعه بتسرب اليأس الى قلبه ، ومن ثم تسربه الى من معه من الجنود ·

---

(١٢) الحجرات : ١٠ · (١٣) آل عمران : ١٠٠ ·
(١٤) آل عمران : ١٠٥ ، ١٠٦ ·

ولذا قيل .. « ما بين النصر والهزيمة غير صبر ساعة » !

ترى هل يفقه الدعاة .. والقائمون على امر التكوين والتمكين ..

ويدركون معها قول رسول الله ﷺ لخباب بن الأرت « ولكنكم قوم تستعجلون » ، وقوله قبلها « واعلم أن النصر مع الصبر » (١٥)!

تلك كانت فى ايجاز – وسائل الاعداد المعنوى – وننتقل باذن الله الى وسائل الاعداد المادى .

* * *

● **وسائل الاعداد المادى :**

وهى تشمل – فى نظرنا – ثلاث وسائل :

أولها : التدريب – وهو معروف .

ثانيها : اعداد العدة – وفيها نشير الى وجوب أن يكون المسلمون ، على أعلى مستوى تقنى باعتبار ذلك فرض كفاية ينبغى أن تنفر اليه طائفة ، والا أثمت الأمة كلها !

ومن ثم فكل سلاح يعرف فى العالم .. ينبغى أن يكون له مصدر انتاج عندنا ، وان يكون سره فى أيدينا والا أثمنا جميعا !

---

(١٥) راجع : الاخوان المسلمون فى حرب فلسطين للأستاذ كامل الشريف ، وكتابه كذلك عن معارك القناة ! ، وكذلك مذكرات الأستاذ حسن دوح قائد الفدائيين فى معارك القناة .

ثالثها : العدد ـ وفيه قال البعض « لن الاعداد ان يكون عددا مثل عدد بدر ـ لأن الله نصره ، وهو مردود بأن عدد بدر كان ثلث عدد الأعداء تقريبا ٠

وقال البعض : عشر عدد الأعداء ٠٠ أخذا بقوله تعالى : « **ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين** » (١٦) وهو منسوخ بالآية التالية (آية الضعف) ٠

وقال البعض الثالث نصف عدد الأعداء ٠٠ أخذا بقوله تعالى « **الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين** » (١٧) ٠٠

وقال البعض : يكفى أن يتوافر اثنى عشر ألف ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يغلب اثنى عشر ألف من قلة » (١٨) ٠

ونرى فى هذا المضمار :

أن العدد ليس بهام لذا توافر أمران ٠

اولهما : الاعداد المعنوى على النحو الذى أشرنا ٠

ثانيهما : الاعداد من ناحية العدة بأحدث ما تفتق عنه العقل البشرى ٠

لكن ينبغى بعد ذلك عدم الاستهانة بالعدد ٠

---

(١٦) الأنفال : ٦٥ (١٧) الانفال : ٦٦

(١٨) مسند أحمد بتحقيق شاكر ٠

وينبغى جعل الاثنى عشر الف حدا أدنى ـ لا نقف عنده ··
بل نجعل شيئا من التناسب ·

لا بأس ان نستفيد فيه من آية الضعف ·

ويبقى بعد ذلك سلاح الدعاء والابتهال والتضرع الذى لجأ اليه رسول الله ﷺ ، والذى مضت سنته سبحانه « **فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا** ·· » (١٩) ·

« **اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم** ·· » (٢٠)

ومعه وعد الله « **بلى ، ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين** » (٢١)

ومع هذا كله « **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين** » (٢٢) ·

* * *

● **الخروج قبل الاعداد اثم :**

ناقش العلماء والفقهاء أمر الخروج من غير اعداد ـ فخطأه الكثيرون (٢٣) ·

وهو الراجح ـ فى نظرنا ـ لما يترتب على الخروج من غير اعداد من اغراء بالدعاة وبجند الله ، وما يترتب على البطش بهؤلاء

---

(١٩) الانعام : ٤٣ (٢٠) الأنفال : ٩ ·
(٢١) آل عمران : ١٢٥ (٢٢) البقرة : ٢٤٩
(٢٣) راجع المشروعية الاسلامية العليا ·

من ارتداد فى نفوس الناس ويأس فى قلوب أصحاب الدعوات ..
الأمر الذى يصير فيه الخروج اثمه اكبر من نفعه .

ولذا وضعنا شروطا قاسية للخروج :

- كفر بواح .

- استنفاد طرق سابقة (التغيير بالقلب ، التغيير بالكلمة ..)

- شرط القدرة .

فان لم تتوافر الشروط - ففى نظرنا - أن الخروج اثم لاينبغى الاقدام عليه - والله أعلم .

* * *

● اعداد لابد منه :

وفى مجال الاعداد نشير الى أمر تطبقه الأحزاب «الديمقراطية» والحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو أحق الناس بها ، ذلك هو اقامة « حكومة ظل » تعتنى بالمشاكل المطروحة داخلية وخارجية ، وتنظر الى حلول الحكومة لها ، وتحاول ان تضع هى الحلول السليمة البديلة ، وذلك حتى يكون نقدها موضوعيا من ناحية ، وحتى يتوافر لها الاستعداد الكافى اذا تسلمت الحكم يوما .

والصف الاسلامى أولى بهذا الاعداد .

أن ينظر كل متخصص فيما يثور من مشاكل ، وينظر الى

ما تقدمه الدولة أو الدول من حلول ، ويحاول هو من خلال تخصصه

أن يضع لها الحل الاسلامى السليم ٠

ولو انتقل الاجتهاد من مرحلة فردية الى مرحلة جماعية لكان

أولى وافضل ٠

ذلك أن الاجتماع والتعدد يسد الكثير من الثغرات فى الاجتهاد

الفردى ـ والله أعلم ٠٠

* * *

٤ ـ التمكين

التمكين هنا مرحلة بعد الاعداد ، أو هو ثمرة الاعداد !

اما كيف يتأتى عمليا ·· انقلاب ، ثورة ، تغيير « ديموقراطى » ··· الخ · فذلك أمر لا نحسب الخوض فيه « عمليا » لأنه افتراض قد لا يصدقه الواقع ·

وهذه وسائل ·· ان صلح بعضها فى مكان فقد لا يصلح فى مكان آخر ، وان نجح بعضها فى زمان فقد لا ينجح فى زمان آخر ··

لذن فما المطلوب للتمكين ؟

أولا ـ حسن التوكل على الله :

لأن الاعداد المادى قد يغرى بالتواكل ·· فينسى البعض مصدر النصر الحق ·· فيقع فيما وقعت فيه فئة من قبل

« **ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين** » (١) ·

ومن ثم وجب عند التمكين ·· الاعتصام بالله سبحانه ، والشكر له والعرفان بفضله ·

---

(١) التوبة : ٢٥ ·

ثانيا ـ مجانبة الغرور بعد مجانبة الغرور (٢) :

للنصـر نشوة تدور بالرؤوس ، قد تورث النفس الغـرور ، فيقع الذين جـانبوا للغـرور • يقعون فى الغرور •• فيفرح بهم الغرور « **يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور** »(٣) •

ثالثا ـ الالتفات الى الأعداء والالتفات عن المغانم :

اما الالتفات الى الأعـداء فلأن النصـر قد ينسى المنتصرين الأعداء ، فينقضون من حيث تراخى المنتصرون •

وكما يمكن أن ينقضوا من الخـارج ، يمكن ان ينقضـوا من الداخـــل •

ومن ثم وجب السهد والسهر « وعين باتت تحرس فى سبيل الله » ، ووجب معها الالتفات عما يعـده البعض مغانم •• لأن ذلك يفقـد الدعـاة رصيدهم ، فضـلا عن أنه يعطى العـدو فرصة الانقضـاض عليهم « **حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخـرة ، ثم صـرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين** » (٤) •

تلك بعض النصائح لساعة التمكين ، فماذا بعد التمكين ؟

* * *

---

(٢) الغرور : الأولى بضم الغين •• اى : الأباطيل ، والثانية بفتحها •• اى : الشيطان •

(٣) فاطر : ٥ •

(٤) آل عمران : ١٥٢

٥ ـ ماذا بعد التمكين

● مقدمة :

مهام بعد التمكين صعبة ..

لأن للتمكين وسيلة لا غاية .

ومن عده غاية أخطأ .. ومن ثم تراخى .. ومن ثم يحدث ما لا نحب .

ولقد عدد لنا رب العالمين فى آية واحدة ثلاث مهام :

« الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » (١) .

وحدد لنا فى آية أخرى مهمة أخرى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (٢) .

وحدد لنا فى آية أخرى ثلاث مهام جعل التمكين واسطة عقدهما :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون

---

(١) الحج : ٤١ .
(٢) البقرة : ١٤٣ .

بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » (٣) ٠

ومن مجموع هذه النصوص نرى ان مهمة « دولة الاسلام » بعد التمكين :

أولا : اقامة شرع الله – وترمز اليه اقامة الصلاة ٠

ثانيا : اقامة التكافل الاجتماعى أو العدل الاجتماعى – وترمز اليه اقامة الزكاة ٠

ثالثا : اقامة التكافل السياسى أو العدل السياسى – ويرمز اليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٠

رابعا : الشهادة على العالمين ٠

خامسا : الاستخلاف فى الأرض ٠

سادسا : الأمن ٠

سابعا : عبادة الله بغير اشراك ٠

ونتناول هذه السبعة بشىء من الايجاز ٠

١ – اقامة شرع الله :

" لما كان اول ما يسئل العبد عنه يوم القيامة اقام الصلاة ، فان قبلت نظر فى بقية عمله ، والا طرحت وطرح فى النار ٠٠

فقد شاء رب العالمين أن يبدأ بها بعد التمكين ، لتبقى صلة الناس بالله ، وليبقوا له ساجدين شاكرين ذاكرين ٠٠ هذه واحدة "

---

(٣) النور : ٥٥ ٠

لكن فيها اشارة كذلك الى اقام الشرع أو اقامة الدين ، لأنها عمود الدين .

ولذلك جاء فى حديث نبوى شريف « الصلاة عمود الدين من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين » .

ومن هنا نفهم الأمر بطاعة ولى الأمر التى شرطها رسول الله ﷺ باقامة الصلاة ، فقال : لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة » فهى اشارة كذلك الى اقامة الدين باعتبارها عمود الدين .

هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى ، فان من يقيم الصلاة ـ ما دام فاهما فاقها ـ لابد أن يقيم بقية الدين والا وقع فى الاثم ، لكثير من النصوص التى تنهى عن التفرقة فى الدين وقد تقدمت .

ولقوله عليه الصلاة والسلام « من لم تنهه صلاتة عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له » .. فأى قيمة لحاكم يقيم الصلاة ، ويعطل الحدود ؟

او يقيم الصلاة ، ويستبيح الربا أو الخمر او الزنا ؟

أو يقيم الصلاة ، ويرفض العدل الاجتماعى الذى أمر به الله حين أمر بالزكاة فيفرق بين الصلاة والزكاة .

او يقيم الصلاة ، ويرفض العدل السياسى الذى امر به الله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .... الخ ..

اذن فاقامة شرع الله واجبة بعد التمكين .. لأنها احدى مهام الدولة ، واحدى غاياتها ولذا كان تعريف الفقهاء للخلافة :

« خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به » أى سياسة الدنيا بهذا الدين .

* * *

٢ ـ اقامة التكافل الاجتماعى أو العدل الاجتماعى :

ظل الناس حينا طويلا يظنون العدل الاجتماعى فيما يرفع من شعارات الاشتراكية أو غيرها من الشعارات الخادعة ، التى ما ان تمكنت حتى جعلت لنفسها ولطبقتها أهم شىء ، وللآخرين أى شىء (٤) .

ونسى الناس ـ حتى المسلمين ـ كيف يقيم الاسلام فيهم العدل الاجتماعى الذى عموده الزكاة ، ومن بعد الزكاة « فى المال حق سوى الزكاة » .

فلا يشقى فى المجتمع الاسلامى فقير أو مسكين ، ولا يجوع انسان وبجواره من يبيت شبعان أو يشكو « البطنة » من كثرة الطعام (٥) .

---

(٤) راجع التطبيق الشيوعى فى كتابنا (الاتجاهات الفكرية المعاصرة) فقد أشرنا الى أن الحزب الشيوعى المتحكم هو الذى تتجمع عنده « المزايا » والتسهيلات .. ويبقى بقية الشعب مسحوقا كما كان وأحيانا أسوأ مما كان وقد رأينا أمثلة لذلك فى التطبيقات الاشتراكية فى العالم الثالث البائس .

(٥) راجع دعاة لا طغاة ـ بحث متواضع فى هذا السبيل ، وقد سبق الى هذا الميدان الأستاذ سيد قطب رحمه الله فى كتابه الرائد : العدالة الاجتماعية فى الاسلام .

ولأهمية هذا الأمر حارب أبو بكر من أجل الزكاة ، وقال قولته التي خلدها التاريخ : لا افرق بين الصلاة والزكاة .

ومن قبل ذلك جعل رب العالمين الزكاة : عبادة بل ركنا ثالثا من أركان الاسلام بعد الشهادة والصلاة .

* * *

٣ - التكافل السياسي - او العدل السياسي :

يقوم التكافل السياسي على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو فريضة على الدولة بعد التمكين ، كما كان فريضة على الافراد قبل التمكين ، ولا شك أن أمر الدولة بالمعروف اقامة له ، ونهيها عن المنكر ازالة له ، فضلا عما يدخل تحت ذلك من تطبيق قوله تعالى :

« والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون » (٦) فازالة الظلم أيا كان مصدرها ، وأيا كان صاحبها ، وأيا كان الواقع تحتها .. كل ذلك واجب الدولة ..

والدولة تقوم مع العدل ولو على كفر .. فأولى أن تقوم به وعليه مع الاسلام (٧) .

وأول ما يسارع في هدم الدولة سكوتها على المظالم ، فضلا عن وقوعها نفسها في تلك المظالم !

* * *

---

(٦) الشورى : ٣٩

(٧) راجع عرضا طيبا في رسالتنا : الشرعية الاسلامية ، وقد فصلنا هذا التصدير على تصدير آخر استعماله بعض العلماء حيا في العدل الذي أمر به رب العالمين حين قالوا : ان الله يقيم الدولة على العدل مع الكفر ، ولا يقيمها على الظلم مع الاسلام .

٤ ـ الشهادة على العالمين :

الاسلام رحمة للعالمين ، كل العالمين •

ومن ثم فقيام دولته وتمكنها •• شهادة على العالمين •

لانه قبل قيام دولته قد يكون للناس أو لبعضهم حجة ••

انهم لا يرون « النموذج » « او المثل » •

أما بعد قيامها •

وبعد قيام الدعاة بالبلاغ المبين ••

فان الشهادة تقع • ويحق القول على الكافرين !

* * *

٥ ـ الاستخلاف فى الأرض :

ونعنى بذلك ان التمكين يترتب عليه عاجلا أو آجلا تنفيذ وعد الله أو أمره •

« ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون » (٨) •

وأول الخطوات لذلك •• ازالة العقبات فى طريق الدعوة ، ولا يعنى ذلك فرض الاسلام على أحد ، فعقيدتنا تأبى ذلك **« لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى » (٩) •**

ومن ثم فكل أرض لا تتعرض للدعوة ولا للدعاة • فأهلها بالخيار بين الاسلام أو الجزية ان كانوا غير مسلمين •

---

(٨) الأنبياء : ١٠٥ •
(٩) البقرة : ٢٥٦ •

لكن أرض الاسلام التى اغتصبت أو التى عطل فيها حكم الاسلام ينبغى أن تعود ، وتلك مهمة « دولة الاسلام » بعد التمكين ·

كذلك كل أرض شهد أهلها أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، وحاول الطواغيت الحيلولة بينهم وبين حكم الاسلام ·

وذلك فضلا عن كل أرض تقوم عليها عقبة فى طريق وصول الدعوة الى أهلها ·

وبذلك تسقط رايات الكفر والالحاد ، واحدة تلو الاخرى ··

ويحق وعد الله « **ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين** » (١٠) ، « **ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون · ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين · وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** » (١١) ·

* * *

٦ ـ الأمن :

« **الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون** » (١٢) ·

« **وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** » (١٣) ·

لابد أن يشعر الناس فى ظل حكم الاسلام بالامن ·

فتختفى تلك الصور الكريهة التى روعت الناس تحت شعارات أمن الوطن وأمن المواطن ·

ان أمن الناس يتقدم كل أمن ·

---

(١٠) الأعراف : ١٢٨ · (١١) الأنبياء : ١٠٥ ـ ١٠٧ ·
(١٢) الأنعام : ٨٢ · (١٣) النور : ٥٥ ·

ذلك أن للمؤمن حرمة ، هى عند الله أعظم من حرمة بيته المحرم ، بنص الحديث ، فلا يمكن أن يعلو على أمن الناس أى أمن آخر ، مهما حاولت الشعارات ٠

ولقد فضلنا النص على الأمن بدلا من النص على الحرية ، لأنه من ناحية « القيمة » يتقدم الحرية . ولذا ذكره رب العالمين فى النصين السابقين ، ومن بهما على قريش فى قوله تعالى : **« الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » (١٤)** ٠

ولأن الحرية تأتى تبعا لهذا الأمن . ويكون الأمن سياجا يحول دون انتهاكها ، والله أعلم ٠

* * *

٧ ـ عبادة بغير اشراك :

« يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » (١٥) ٠

هى الغاية من خلق الله للخلق **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (١٦)** ٠

فكيف لا تكون الغاية من قيام دولة الاسلام ٠٠ ؟

بيد أن النص جاء **« يعبدوننى لا يشركون بى شيئا »** ٠٠

وحيث الشرك يطول ٠

لكنا ننبه الى الشرك الأصغر الذى قد لا يتهم الناس به ٠

كما ننبه الى لون من الشرك قد لا يدركه الكثيرون ،

---

(١٤) قريش : ٤ ٠ (١٥) النور : ٥٥ ٠

(١٦) الذاريات : ٥٦ ٠

ألا وهو خوف غير الله او الرجاء فى غير الله أو حب غير الله ·· كل ذلك فى مستوى خوف الله والرجاء فيه وحبه أو زيادة « **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا اشد حبا لله** » (١٧) ·

كما ننبه فى النهاية الى طاعة الطواغيت التى تحكم بغير ما انزل الله لقوله تعالى « **الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا** » (١٨) ·

« **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » (١٩) ·

« **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم** » (٢٠) ·

***

● **وبعد ··**

فهذه الكلمات اجتهاد فردى مطلق · ممن عاش أياما مع الصادقين ، كما عرف خلالها وقبلها بعضا من الظالمين ·

---

(١٧) البقرة : ١٦٥ ·
(١٨) النساء : ٦٠ ·
(١٩) النساء : ٦٥ ·
(٢٠) البقرة : ٢٥٦ ·

فيها اثارة من علم ، وبعض من تجربة ، فضلا عن شىء من الفكر غير قليل ٠

ومن ثم فليست هذه الكلمات « دستور » جماعة أو خطة دولة ٠

وانما هى مبسوطة لمن اراد أن يستفيد منها هنا أو هناك ، عسى ألا تتكرر الأخطاء ٠

واذ نعترف فيها بالفضل لله ٠٠

مرجع الفضل بعده لمن سبقونا بالايمان ، ثم لمن سبقونا الى الكتابة فى هذا الموضوع ٠

ونرجو من الله ان يخلص عملنا لله ٠

وان يجعله وفق منهاجه وسنة رسوله ٠

وأن يلحقنا بالصالحين ٠٠ اللهم آمين ٠

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الفصل الثانى : الدعوة فى مرحلة التكوين

(٧٥ – ١١٨)

الصفحة

الفصل الثالث : التمكين

(١١٩ ـ ١٥٤)

الصفحة

* * *

رقم الايداع ٥٦٠٥ / ٨٥
الترقيم الدولى ٤ ـ ٠٦٥ ـ ٣٠٧ ـ ٩٧٧

كتب للمؤلف

١ - شريعة الله حاكمة .. ليس بالحدود وحدها .

٢ - أصول الشرعية الاسلامية .. مضمونها وخصائصها .

٣ - مصادر الشرعية الاسلامية.. مقارنة بالمصادر الدستورية.

٤ - اركان الشرعية الاسلامية .. حدودها وآثارها .

٥ - القرآن فوق الدستور .. ومعه ملحق لاعلان دستورى اسلامى .

٦ - دعوة الله بين التكوين والتمكين .

تطلب من : مكتبة وهبة